ابراهيم خليل جرِيس

كتابات للجاحظ

كتاب المعلمين

و

كتاب في الرد على المشبهة

تحقيق ودراسة

جامعة تل ابيب

مكتبة ومطبعة السروجي

عكا ١٩٨٠

رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً

رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً

رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً

دراسات ونصوص أدبية

سلسلة كتب تصدر عن جامعة تل ابيب

ومكتبة ومطبعة السروجي للطباعة والنشر

عكا تلفون ٩١٢٢٢٦

يشرف على تحريرها : ساسون سوميخ

سكرتير التحرير : سليمان جبران

(الأبحاث ترسل الى المحرر، جامعة تل ابيب – قسم اللغة العربية وآدابها)

* * *

עיונים וטקסטים ספרותיים, III

בהוצאת אוניברסיטת תל - אביב, החוג לשפה וספרות ערבית

עורך כללי : ש' סומך ; מזכיר המערכת : ס' ג'ובראן

אבראהים ג'ריס

שני חיבורים מאת אל - ג'אחט'

א. כתאב אל מעלמין

ב. כתאב פי אל - רד עלא אל - מושבהא

~~מהדורה מד~~עית, בליווי מבוא כללי

תל - אביב

1980

מו"ל, סרוג'י, עכו

الإهداء

إلى الأستاذ شارل بلات ، باريس

لقد قدمت للدراسات الجاحظية صرحاً شامخاً ، فهلا قبلت هذا الجهد المتواضع من تلميذك ؟!

إبراهيم جريس

وصف المخطوطات

كتاب المعلمين وكتاب في الرد على المشبهة، أثران هامان من آثار الجاحظ، التي جار الزمان عليها . فوصلتنا ناقصة، في مقطوعات وفصول اختارها شخص يدعى عبيد الله بن حسان من الأعمال الجاحظية التامّة، قبيل بداية القرن الخامس الهجري .

وقد حفظت لنا هذه المختارات في عدد صغير من المخطوطات الموجودة في الشرق والغرب، في القاهرة واستنبول والموصل ولندن .

١ ـ في القاهرة، في الخزانة التيمورية، بدار الكتب المصرية . وهي نسخة حديثة، ومطابقة، كما يقول كل من باول كراوس وطه الحاجري وعبد السلام هارون، لمخطوطة لندن[1] . ويعتقد أنها كانت الأصل الذي اعتمد عليه في طبع ما طبع من أعمال الجاحظ على هوامش كتاب الكامل للمبرد المطبوع سنة ١٣٢٣ هـ[2] ويبدو أن الطبع قد تم بعد ثماني سنوات من كتابة هذه النسخة، اذ كانت قد نسخت سنة ١٣١٥ للهجرة، كما جاء في

---

١ ـ الجاحظ، مجموع رسائل الجاحظ، تحقيق باول كراوس وطه الحاجري، القاهرة ١٩٤٣، المقدمة ص و ـ ح . الجاحظ، رسائل الجاحظ، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، القاهرة ١٩٦٤ الجزء الأول، المقدمة ص ٨ ـ ٩ .

٢ ـ المصدر السابق ص ٨ ـ ٩، وطه الحاجري، الجاحظ، حياته وآثاره، القاهرة ١٩٦٢، ص ٨، وسنتحدث عن هوامش كتاب الكامل في الصفحات التالية .

النص الذي يقتبسه يوشع فنكل من نهاية هذه النسخة . كما ويظهر من خلال هذا النص، أن ناسخها نقلها "من نسخة تاريخها في أوائل شهر رجب الأصم سنة ٤٠٣ ثلاث وأربعمائة، كاتبها أبو القاسم عبيد الله بن علي، رحمه الله"[١] .

وهذا يجعلنا نفترض أن تكون هذه النسخة القديمة هي التي اعتمد عليها الناسخ لحساب فون كريمر، الذي استقرت مخطوطته في المتحف البريطاني في لندن، اذ كتبت هذه النسخة سنة ١٢٩٤ للهجرة[٢] .

ومما يلفت الانتباه، ان بعض المحققين الذين عملوا في القاهرة على تحقيق بعض أعمال الجاحظ، لم يعتمدوا على النسخة التيمورية . فباول كراوس وطه الحاجري، اللذان اشتركا في تحقيق أربع رسائل، يدخل بعضها في هذه النسخة، لم يعتمدا عليها، بل اعتمدا على النسخة اللندنية[٣] . وكذلك الأمر بالنسبة لعبد السلام هارون، صاحب الفضل الكبير في اخراج عدة كتب ورسائل جاحظية فهو أيضا يعتمد على النسخة اللندنية "المأخوذ منها نسخة مصورة بمكتبة جامعة القاهرة برقم ٢٤٠٦٩" وليس على النسخة التيمورية[٤] .

أما يوشع فنكل، فانه كان قد اعتمد على هذه النسخة في تحقيقه لرسالة الرد على النصارى[٥] .

والسؤال الذي يبقى قائما هو : ماذا حدث لتلك المخطوطة القديمة التي تعود الى بداية القرن الخامس الهجري، وأين هي الان ؟

---

١ ــ الجاحظ، ثلاث رسائل، تحقيق يوشع فنكل، القاهره ١٣٤٤ هـ ، المقدمة ص ٣ .

٢ ــ كما سحي، بعد صفحات عند وصف هذه المخطوطة .

٣ ــ مجموع رسائل الجاحظ، ص و .

٤ ــ رسائل الجاحظ، الجزء الأول ص ٣، ص ٩٠ ، ومقدمة كتاب العثمانية للجاحظ، الذي حققه سنة ١٩٥٥ ص ١٦ .

٥ ــ ثلاث رسائل، ص ٣ ــ ٤ .

٢ ـ في استنبول، في مكتبة متحف طوبقبو (Topkapi) في Emanet Hazinesi ورقمها ١٣٥٨ . وقد حصلنا على صورة منها للأوراق المحتوية على كتابي المعلمين والرد على المشبهة .

يقع الكتاب الأول في الأوراق ٥ وجه، حتى ١٠ وجه، بعد الرسالة الأولى، رسالة الحاسد والمحسود، وقبل التربيع والتدوير . أما الثاني فيتوسط بين الرد على النصارى ومقالة العثمانية، في الأوراق ٧٣ وجه، حتى ٧٥ ظهر .

بقيت هذه المخطوطة شبه مجهولة من قبل الدارسين مدة طويلة، الى أن تحدث عنها الأستاذ رمضان ششن (R. Şeşen)، في مقال استعرض فيه أعمال الجاحظ الموجودة في مكتبة متحف طوبقبو، ونشره سنة ١٩٦٥ م[١] . ثم ورد ذكرها في كاتالوج هذه المكتبة الذي وضعه فهمي أدهم كارتاي (F. E.Karatay)[٢] وقد نبهنا اليها زميلنا الدكتور يوسف سدان ، المحاضر في جامعة تل أبيب .

ومن خلال وصف المخطوطة الوارد في الكاتالوج المشار اليه آنفا، نفهم أنها كتبت سنة ١٦٦٩ م . وهذا يعني أنها أقدم ما بقي من مخطوطات فصول عبيد الله بن حسان، اذا استثنينا المخطوطة القاهرية القديمة التي ضاعت على ما يبدو . كما يظهر أنها نسخت على أوراق طولها ١٩٣ ملم

---

١ ـ Ramazan Şeşen, *Câḥiz'in ecerlerinin Istanbul Kütü-phanelerindeki"* *Şarkiyat Mecmuasi*, VI, 1965.

الذى يشير اليه شارل بلات في مقدمة تحقيقه لكتاب المسائل والجوابات في المعرفة، مجلة "المشرق" أيار حزيران، ١٩٦٩، السنة ٦٣، ص ٣١٥ .

٢ ـ Edhem Karatay, *Topkapi Sarayi Müzesi Kütüphanesi, Arapça Yazmalar Kataloğu*, C. IV, Istanbul, 1969 pp. 223 - 224

وعرضها ١١٠ ملم ، وفي كل صفحة سبعة وعشرون سطرا ، كتبها محمد أبو الصلاح الحنفي بخط تعليق فارسي[1] . وهي مشفوعة بالنقط والحركات ، الا أن الناسخ كان يهمل تنقيط بعض الأحرف في كلمات بدت له واضحة بدون النقط ، وكان يخطىء في حركات الاعراب أحيانا ، كما أنه يقصر الممدود باسقاط الهمزة دائما . وهي مليئة بالأخطاء . واذا ما فحصنا هذه الأخطاء نجد أن معظمها ناتج اما عن تحريف وتصحيف يعودان الى الجهل أو الى الالتباس في الكلمات المتشابهة، واما عن سهو النساخ واغفالهم لبعض الكلمات والجمل أحيانا . نقول النساخ، وليس الناسخ، لأننا لا نعتقد أن الأخطاء الكثيرة في هذه النسخة تعود الى ناسخها فقط . ان كثرة الأخطاء ذاتها أو ما يشبهها في مخطوطة لندن ، وفيما طبع على هوامش كتاب الكامل (المأخوذ عن مخطوطة القاهرة) ، يدل على أن كثيرا منها كان موجودا في الأصول التي أخذت عنها هذه النسخ .

على كل حال ، لم يبد النسّاخ المتأخرون اهتماما كبيرا بفهم النص، وربما تنبهوا للأخطاء ، لكنهم لم يتدخلوا حرصا منهم على نقل ما ورد في الأصول دون تغيير . ويمكن استثناء القائم على طبع هوامش الكامل ، اذ أدخل بعض التغييرات التي رآها ضرورية لاستقامة النص[2] .

ولما كانت مخطوطة استنبول أقدم مراجعنا ، فقد اتخذناها أساسا للتحقيق ورمزنا اليها بكلمة : الأصل .

٣ــ في الموصل ، في مكتبة مدرسة الحجيات : كل ما نعرفه عن هذه المخطوطة مصدره كتاب الدكتور داود الجلبي ، وتاريخ الأدب العربي لبروكلمن وكتاب أحمد شلبي . أما الأول فيقول في أن المجموعة ٢٤ من

---

١ ــ نفس المصدر ص ٢٢٣ .

٢ ــ هذا ما نعتقده ، معتمدين على حقيقة انفراد هذا المرجع ببعض القراءات التي لم ترد في المرجعين الاخرين ، وخاصة في مخطوطة لندن ، التي أخذت هي الأخرى من نفس المصدر الذى اعتمد عليه طابع هوامش الكامل ، والتي تتفق معه عادة .

مخطوطات هذه المدرسة، "فيها مقتبسات وقصائد ومراسلات منها بعض رسائل الجاحظ" . ولا يحدد كم هي هذه الرسائل وما تحمل من عناوين . ونفهم من بروكلمان أن رسالة المعلمين موجودة في مخطوطة الموصل[١] . أما أحمد شلبي فيقول ان "رسالة المعلمين التي كان يعتقد أنها فقدت"، أفادته للغاية "فيما يتعلق بحالة المدرسين الاجتماعية"[٢]، ويشير في بداية الكتاب الى أنها موجودة في مخطوط في الموصل[٣] . أما في ثبت المصادر فيشير الى أنها موجودة في مخطوط المتحف البريطاني ٣١٣٨، ومدرسة الحجيات في الموصل"[٤] . ويورد في هامش الصفحة ٢١٨ من كتابه عبارة لا ندري مدى مطابقتها للواقع، اذ يقول متحدثا عن "رسالة المعلمين" انها "مخطوط بعضه بالمتحف البريطاني وبعضه بالموصل" . فهل يعني ذلك أن المخطوطين يتمّم أحدهما الآخر؟ هل يحتوي مخطوط الموصل على بعض أجزاء كتاب المعلمين التي لم ترد في مخطوطة لندن؟

اذا ما تتبعنا الاقتباسات التي يوردها الدكتور شلبي عن كتاب المعلمين، محددا في الهوامش رقم الورقة المقتبس عنها، دون تحديد مكان المخطوط، نلاحظ أنها كلها مأخوذة عن نسخة المتحف البريطاني[٥] . يبدو لنا أنه اعتمد على هذه النسخة فقط، وليس على النسخة الموصلية، الا اذا كان هناك تطابق تام بين النسختين من ناحية أرقام الأوراق وما احتوت عليه كل ورقة من مادة، وهذا ما نستبعده لكون المخطوطة اللندنية نسخة حديثة عن أصل قاهري .

---

١ — الدكتور داود الجلبي، مخطوطات الموصل، بغداد ١٩٢٧ ص ١٠٠ . كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، تعريب الدكتور عبد الحليم النجار دار المعارف ١٩٦٩، الجزء الثالث ص ١١٧، رقم ٥٢ .

٢ — الدكتور أحمد شلبي، تاريخ التربية الاسلامية، الطبعة الثالثة، القاهرة، ١٩٦٦، ص ٣١ .

٣ — نفس المصدر ص ٣٠ .

٤ — نفس المصدر ص ٤٢٢ .

٥ — نفس المصدر، ص ٤٥، ٥٥ — ٥٦، ٥٨ .

وبالطبع ، لا يساعدنا ذلك في الاجابة على السؤال الذي طرحناه آنفا ثم أننا لا نعرف عن هذه المخطوطة سوى ما أشرنا اليه، كما وأنه من المتعذر علينا الحصول على نسخة منها، هذا اذا ما وجدت فعلا ، ولم يكن مصيرها كمصير أختها الموصلية التي كانت محفوظة في مكتبة أمين بك الجليلي ، واحتوت على بعض أعمال الجاحظ، والتي ضاعت على ما يبدو[1] .

٤ — في لندن ، في مكتبة المتحف البريطاني ، شرقيات ٣١٣٨، وفي ملحق ريو (Rieu) رقم ١١٢٩ [2] . وقد حصلنا على نسخة عنها على شكل ميكروفيلم . وهي مطابقة، فيما احتوت عليه من رسائل ومادة، لمخطوطة استنبول ، كما أنها حديثة النسخ، كتبها عبد الله المنصوري "برسم خزانة الأمير الفاضل موسيو كريمر (A. V. Kremer) النمساوي بمحروسة مصر سنة ١٨٨٧" [3] . أما الأصل الذي نسخت عنه، فلا توجد اشارة اليه، لكنه بلا شك أصل قاهري، كان قائما قبل النسخة التيمورية، كما سبق وأشرنا ، وليس من المستبعد أن يكون هو ذات الأصل الذي أخذت عنه هذه النسخة الأخيرة، وهو الذي كتب في بداية القرن الخامس الهجري . فالمقارنة بين النسخة اللندنية والنسخة التيمورية تشير الى أنهما متطابقتان ،

---

١ — هذا ما يفهم من جواب الدكتور الجلبي على سؤال كان باول كراوس وطه الحاجري قد وجهاه اليه بخصوص هذه المخطوطة، أنظر مقدمة مجموع رسائل الجاحظ، ص و . ومقدمة رسائل الجاحظ، الجزء الأول ، ص ٦ .

٢ — Ch. Rieu, *Supplement to the Catalogue of the Arabic Manuscripts in the British Museum*, London, 1894, pp. 709 - 710.

٣ — هذا ما جاء في صفحتها الأولى وفي آخرها وقد نقل هذين النصين باول كراوس وطه الحاجري في مقدمة مجموع رسائل الجاحظ، ص و . وطه الحاجري، الجاحظ حياته وآثاره، القاهرة، ١٩٦٢ ص ٧ — ٨ وانظر ريو، ص ٧٠٩ .

هذا ما يقوله باول كراوس وطه الحاجري[1]، وهذا ما يمكن أن نستنتجه من خلال مقارنة ما طبع على هوامش الكامل من كتاب المعلمين، والذي أخذ على ما يبدو عن النسخة التيمورية التي نسخت قبل الطبع بثماني سنوات، مع النسخة اللندنية. ويبدو وجه الشبه أتم اذا ما قارنا فصل "رياضة الصبي" من كتاب المعلمين الموجود في هذه النسخة، مع الفصل ذاته الذي ورد في "رسالة مدح التجار وذم عمل السلطان"، في مجموعة رسائل الجاحظ التي طبعت في مطبعة الساسي سنة ١٣٢٤ هجرية[2]، أي بعد سنة من اخراج الكامل المحتوي على مختارات عبيد الله بن حسان.

كتبت النسخة اللندنية بخط نسخي حديث مشفوع بالنقط، وأحيانا بالحركات، على أوراق طول الواحدة منها ٩ انشات (٢٢٨،٦ ملم) وعرضها ٦ انشات (١٥٢،٤ ملم). في كل ورقة سبعة عشر سطرا وفي كل منها حوالي ثماني كلمات، وطول كل سطر ثلاثة انشات ونصف (٨٨،٩ ملم)[3].

والنسخة مليئة بالأخطاء المشابهة لتلك الموجودة في مخطوطة طوبقبو، وفي ما طبع على هوامش الكامل، وفي مجموعة رسائل الجاحظ المطبوعة في مطبعة الساسي. وكما سبق وقلنا، لا يمكن ارجاع كل الأخطاء هنا لجهل الناسخ الذي عمل لحساب فون كريمر، واسمه عبد الله المنصوري، كما اعتقد المستشرق هيرشفيلد[4]. فقسم كبير من الأخطاء مرجعه الأصل الذي أخذه عنه. وكتاب المعلمين في هذه المخطوطة هو الثاني من حيث الترتيب، اذ سبقته رسالة الحاسد والمحسود، وهو يقع في الأوراق ٨ ظهر، حتى

١ ـ مجموع رسائل الجاحظ، المقدمة ص ح.

٢ ـ أعيد طبع هذه المجموعة في دار النهضة الحديثة في بيروت سنة ١٩٧٢، دون الاشارة الى طبعة الساسي.. ولقد اعتمدنا على هذه الطبعة الحديثة.

٣ ـ انظر ريو، ص ٧٠٩.

٤ ـ انظر: H. Hirschfeld, *"A volume of essays by al-Jāḥiẓ"*, *A volume of oriental studies*, ed. by T.W. Arnold and R. Nicholson, Cambridge, 1922, p. 200.

١٩ وجه . اما كتاب في الرد على المشبهة، فيقع في الأوراق ١٥٥ وجه، حتى ١٦١ وجه، بين كتاب الرد على النصارى و مقالة العثمانية . ولسبب ما أغفل الدكتور ريو ذكر هذا الكتاب، كما أغفل ذكر عملين آخرين من نفس المجموعة، عندما استعرض محتويات هذه المخطوطة في ملحق كاتالوج المخطوطات العربية في المتحف البريطاني . وبالرغم من أن المستشرق هيرشفيلد (H. Hirschfeld) كان قد وقف على هذا الخطأ، ونبه اليه، في مقال خصصه لأعمال الجاحظ في المخطوطة اللندنية، وتحدث فيه عن كتاب المعلمين، مترجما لبعض فقراته[١]، فان بعض الدارسين، لاعتمادهم على كاتالوج ريو، وقعوا في الخطأ، معتبرين الكتاب مفقودا[٢]، وادعى بعضهم انه موجود في مخطوطة مكتبة داماد ابراهيم باشا، في استنبول[٣]، وهذا بعيد عن الصحة، اذ أن هذه المجموعة تحتوي على رسالة في نفي التشبيه[٤]، وليس على كتاب في الرد على المشبهة . وسنرمز الى هذه

١ـ المصدر السابق ص ٢٠٠ – ٢٠٩ .

٢ـ مثلا باول كراوس وطه الحاجري، في مقدمة مجموع رسائل الجاحظ ص ز – ح . والمستشرق شارل بلات في مقدمة رسالة : في نفي التشبيه، التي حققها ونشرها في مجلة المشرق، سنة ١٩٥٣، ص ٢٨٢، وفي مقاله "Essai d'inventaire de l'oeuvre ǧāḥiẓienne" Arabica, 3, 1956, pp. 148 - 167.
اما عبد السلام هارون فانه لا يعلق بأي تعليق على ورود اسم هذا الكتاب في ص ٩ من مقدمة كتاب الحيوان للجاحظ، الذي حققه سنة ١٩٣٨ في القاهرة، واعاد طبعه سنة ١٩٦٩ . وكذلك في رسالة في نفي التشبيه التي حققها ضمن رسائل الجاحظ، الجزء الثاني ص ٢٨٩ .

٣ـ الحاجري، الجاحظ، ص ٣٤١ – ٣٤٢ . وسنتحدث عن ذلك في مقدمة كتاب في الرد على المشبهة .

٤ـ حقق هذه الرسالة أولا شارل بلات ونشرها في مجلة المشرق، سنة ١٩٥٣ ص ٢٨١ – ٣٠٣ . ثم حققها عبد السلام هارون ونشرها في رسائل الجاحظ، الجزء الأول ص ٢٨١ – ٣٠٨ .

المخطوطة اللندنية بالحرف ل .

٥ - الفصول المطبوعة على هوامش كتاب الكامل للمبرد ، المطبوع في مطبعة التقدم العلمية ، في القاهرة سنة ١٣٢٣ هـ . لا تضم هذه الهوامش كل مختارات عبيد الله بن حسّان [١] ، بل "ينقصها الكثير مما في النسخة التيمورية ، ونسخة المتحف البريطاني ، فهي مجموعة من الاختيار مبتورة" [٢] فهي لا تضم كتاب في الرد على المشبهة ، لذا فقد أفدنا منها في تحقيق كتاب المعلمين فقط .

٦ - اما مجموعة رسائل الجاحظ المطبوعة سنة ١٣٢٤ في مطبعة التقدم ، فانها لا تضم الأثرين اللذين نحن بصددهما ، لكنها تحتوي على جزء من كتاب المعلمين ، وهو فصل في رياضة الصبي ، ورد فيها خطأ ، ضمن رسالة "مدح التجار وذم عمل السلطان" [٣] . لذلك شكّلت هذه الرسالة ، في مراحل معينة من مراحل التحقيق ، مرجعا رابعا بالاضافة الى المراجع الثلاثة السابقة . ورمزها الحرف م .

---

١ - جاء في صفحة العنوان : "طرز هامشه بكتاب الفصول المختارة من كتب الامام ابي عثمان عمرو الجاحظ بن بحر بن محبوب الكناني البصري المتوفي بالبصرة في المحرم ٢٥٥ هـ ، اختيار الامام عبيد الله بن حسان ، رحمه الله ونفعنا به آمين" .

٢ - رسائل الجاحظ ، الجزء الأول ، المقدمة ص ٩ ويظهر ذلك في استعراض بروكلمان لأعمال الجاحظ وأماكن وجودها ، تاريخ الأدب العربي الجزء الثالث ص ١١٢ - ١٢٠ . تجدر الاشارة هنا الى أن القائمة التي يضعها عبد السلام هارون لأعمال الجاحظ الموجودة على هوامش الكامل ، غير دقيقة ، فقد أسقط ذكر رسالة التربيع والتدوير ، التالية لكتاب المعلمين مباشرة والتي تبدأ صفحة ٤٠ من الجزء الأول كما اهمل ذكر كتاب الوكلاء الذي يقع في الجزء الثاني ص ٢٢٠ - ٢٤٧ ورسالة الى أبي الفرج الكاتب في المودة ، كما جاء في بروكلمان ، المصدر المذكور أعلاه ، نمره ٢٨ و ٤٨ وقد حققها هارون في رسائل الجاحظ ، الجزء الأول ص ٣٢٣ - ٣٣٢ .

٣ - مجموعة رسائل الجاحظ ص ١٤٣ - ١٤٥ ينفرد هذا المصدر بهذا الاضطراب ، فنص "فصل في رياضة الصبي" لا يتواجد ضمن صفحات رسالة "مدح التجار وذم عمل السلطان" في مخطوطتي طوبقبو والمتحف البريطاني ، وفيما طبع على هوامش كتاب الكامل ، الجزء الثاني ص ٢٤٦ - ٢٥١ .

منهجنا في التحقيق

أ ـ كتاب المعلمين : كان لخصائص مصادرنا، التي أشرنا اليها في الصفحات السابقة، الأثر الكبير في تحديد منهجنا في التحقيق، فقدم مخطوطة طوبقبو جعلنا نتخذ منها أساسا لعملنا، محاولين اصلاح النص فيها مستعينين بالمصدرين الاخرين . وعندما كانت المصادر الثلاثة تستوي في الفساد والابهام، وهذا كثير الحدوث، كنا نقوم بتصحيح النص بتغييرات أو زيادات لا يصلح النص بدونها، مستوحين في ذلك آراء الجاحظ ومواقفه المبثوثة في كتبه الأخرى، أو معتمدين على ما ورد فيها من أقوال . ولكننا، في حالات قليلة لم نستطع الوصول الى حل بعض المشكلات الناتجة من اضطراب النص أو من تحريفه . وقد أشرنا الى خطواتنا في تحقيق النص وتقويمه في الهامش الأول، الذي في أسفل النص، والذي رقّمنا الملاحظات فيه بالأرقام العربية (المعتمدة في الغرب) . أما الهامش الثاني، الذي يأتي بعد الأول، فقد خصصناه للملاحظات والشروح التي تتعلق بمعنى النص وبالآراء الموجودة فيه، ولذكر المراجع الأدبية الأخرى التي ذكر فيها ما ورد في النص، أو ما يشبهه، وملاحظاته مرقمة بالأرقام الهندية (المعتمدة في العالم العربي) .

وقدمنا للكتاب بمقدمة تحليلية طويلة، نسبيا، تحدثنا فيها عن أسباب كتابة الجاحظ له، ووقفنا على ما أودعه فيه من آراء في المعلمين وفي مواضيع أخرى تناولها بالبحث لاتصالها، بشكل أو بآخر، بموضوع المعلمين، وناقشنا فيها ما قيل عن الجاحظ ومواقفه تجاه هذه الموضوعات . كما وصفنا فيها مبنى الكتاب ومنهج الجاحظ فيه .

ب ـ في الرد على المشبّهة : اتبعنا في تحقيقه منهجنا في تحقيق كتاب المعلمين، الا أننا اعتمدنا هنا على مخطوطتين فقط، متخذين، في هذه الحالة أيضا، من طوبقبو، أساسا للتحقيق . لكن طبيعة موضوع هذا الكتاب من ناحية، ووجود أعمال لكتاب آخرين، قد تناولت هذا الموضوع، من ناحية أخرى، جعلنا نستعين بكتب الكلام والتفسير لتوضيح بعض الفقرات المبهمة، نتيجة لتحريف النص أو اسقاط أجزاء منه .

فكتب ابن قتيبة وابن حنبل والدارمي والأشعري من جهة، والجاحظ وعبد الجبار من جهة ثانية، تساعدنا على تفهم كتاب في الرد على المشبّهة، وبالتالي على تحقيقه واخراجه بالشكل اللائق به . ولطبيعة هذا الكتاب الكلامية الجدلية، فضلنا عدم الاسهاب في المقدمة، لتحاشي الدخول في ذلك الجدل، مكتفين بالحديث عن نشاط الجاحظ في مجال علم الكلام والدفاع عن المذهب المعتزلي، وبوصف كتاب في الرد على المشبّهة، ومحاولة تحديد زمن كتابته، والعلاقة بينه وبين رسالة في نفي التشبيه، وأهميته، ومنهج الجاحظ في الرد على أصحاب التشبيه والتجسيم فيه . لكنا توسعنا في الحديث عن مواقف الجاحظ ومذهبه في موضوع نفي التشبيه والرد على المشبهة، في الهوامش المفسرة للنص، حيث كنا نفسر ما جاء في الكتاب من أقوال وحجج جاحظية، ونشير الى مدى اتفاقها ومذهب الاعتزال، ونقارنها بآراء أهل السنّة في الموضوع، آملين أن تسهم هذه التعليقات والملاحظات المفسّرة في ايضاح النص أولا وموقف الجاحظ ومذهبه ثانيا .

* * *

وبعد ، نود أن نعبر عن جزيل الشكر والامتنان :

- للمسؤولين في مكتبة متحف طوبقبو لتفضلهم بارسال ما طلبناه من صور الأوراق المحتوية على نص الكتابين المنشورين هنا ، من مخطوطة استنبول . وللمسؤولين في مكتبة المتحف البريطاني في لندن الذين تفضلوا بارسال نسخة مصورة (ميكروفيلم) للمخطوطة المحتوية على مختارات عبيد الله بن حسان من أعمال الجاحظ .

- لزميلينا الدكتور يوسف سدان ، من جامعة تل ـ أبيب والدكتور البرت ارازي من الجامعة العبرية اللذين ساعدانا في الحصول على هذه الصور .

- وللصديق سليمان جبران ، الذي قرأ مخطوطة هذه الدراسة وقدّم بعض الملاحظات التي أفدنا منها .

الكتاب الأول

فصول من كتاب المعلمين

مقدمة

لعل الجاحظ من أكثر كتاب الأدب القديم اهتماما بالطبقات والفئات الاجتماعية المختلفة . ويعود هذا الاهتمام الى تلك الفكرة الفلسفية الاجتماعية التي آمن بها، والقائلة بأن المجتمع الانساني، كالعالم الكبير، مكوّن من أجزاء متنوعة، متباينة ومتناقضة، لكل منها، حتى ولو صغر وحقر، أهميته ودوره الذي لا يعوّض، في استمرارية قيام وتواجد هذا الكل . فمن ينظر في العالم وأجزائه يجد أن الله "جعل في الجميع تمام المصلحة، وباجتماعها تتم النعمة، وفي بطلان واحد منها بطلان الجميع، قياسا قائما، وبرهانا واضحا . فان الجميع انما هو واحد ضمّ الى واحد . وواحد ضمّ اليهما، ولأن الكل أبعاض، ولأن كل جثة فمن أجزاء، فاذا جوّزت رفع واحد، والآخر مثله في الوزن وله مثل علته وحظه ونصيبه، فقد جوّزت رفع الجميع، لأنه ليس الأول بأحق من الثاني في الوقت الذي رجوت فيه ابطال الأول، والثاني كذلك والثالث والرابع، حتى تأتي على الكل وتستفرغ الجميع" [1] .

يرى الجاحظ أن "حاجة بعض الناس الى بعض، صفة لازمة في طبائعهم وخلقة قائمة في جواهرهم، وثابتة لا تزايلهم، ومحيطة بجماعتهم، ومشتملة على أدناهم وأقصاهم . ولم يخلق الله تعالى أحدا يستطيع بلوغ حاجته

---

١ - الجاحظ، كتاب الحيوان، تحقيق عبد السلام هارون، الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٦٩، الجزء الأول ص ٢٠٦ . وانظر ص ٣٣ وص ٢٠٤ - ٢١٠ .

بنفسه دون الاستعانة ببعض من سخر له. فادناهم مسخّر لأقصاهم، وأجلهم ميسّر لأدقهم. وعلى ذلك أحوج الملوك الى السوقة في باب، وأحوج السوقة الى الملوك في باب، وكذلك الغني والفقير، والعبد وسيده"[١].

هذه الفكرة، ذات الجذور اليونانية، هي التي حملت كاتبنا على الاهتمام ببعض عناصر الكون، التي تبدو حقيرة في عيني الناظر المعتمد، في حكمه على الأمور، على حواسه وليس على عقله، فبرهن أهميتها وحاجة الكون لها، لتمام المصلحة[٢]. وهي التي دفعته الى الاهتمام بطبقات وفئات اجتماعية متعددة، من الخاصة ومن العامة، فتناولها بالبحث بواقعية وموضوعية، عاكسا آراء ومواقف العصر منها، وناقلا لنا صورة صادقة لما كان عليه المجتمع العباسي في القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي)[٣].

والى جانب هذا الدافع الفلسفي، الكامن وراء معظم كتابات الجاحظ الاجتماعية، نجد أحيانا دوافع أخرى، مباشرة، حملت هذا الكاتب على كتابة هذا العمل أو ذاك من مؤلفاته هذه. فمنها دوافع علمية أدبية، ومنها سياسية دينية، منها الذاتي ومنها الموضوعي. وكانت هذه العوامل تضفي طابعا آخر ـ الى جانب الطابع الاجتماعي ـ على هذه الأعمال، فيكون تارة سياسيا وتارة دينيا وأخرى أدبيا ثقافيا..

---

١ ـ نفس المصدر، ص ٤٣ ـ ٤٤. وانظر رسالة المعاش والمعاد، رسائل الجاحظ، الجزء الأول ص ١١٧.

٢ ـ نفس المصدر ص ٢٠٤ ـ ٢١٠، والجزء الثالث ص ٣٠٣.

٣ ـ قام بعض الباحثين بدراسة المجتمع العباسي من خلال كتابات الجاحظ. أنظر مثلا : وديعة طه النجم، الجاحظ والحاضرة العباسية، بغداد ١٩٦٥، والدكتور محمد عويس، المجتمع العباسي من خلال كتابات الجاحظ، القاهرة ١٩٧٧. يقول الدكتور طه حسين في كتابه : حديث الأربعاء، الجزء الثاني، ص ١٣٠ : "فاذا أردت أن تشخص حياة القرن الثالث الهجرى فلن تجد ذلك عند البحتري ولا عند ابي تمام، ولا عند شاعر من الشعراء وانما أنت واجد ذلك عند الجاحظ". حديث الأربعاء، المطبعة التجارية الكبرى ١٩٢٥.

وكتاب المعلمين، الذي نحن بصدده في هذا العمل، ينتمي الى هذه الفئة من كتب الجاحظ . ولسوء الحظ، لم يصلنا نص هذا الكتاب كاملا . وهو ـ في هذا المجال ـ ليس الوحيد من بين أعمال هذا الأديب، فقد وصلنا عدد منها مبتورا، على شكل مختارات من الأثر الأصلي، قام باختيارها، في معظم الحالات، شخص يدعى عبيد الله بن حسان، كان يطلق على كل قطعة منها اسم "فصل منه" [١] .

لكن ما وصل الينا من مقطوعات (أو فصول) كتاب المعلمين، يتيح للدارس أن يقف على رأي الجاحظ في المعلمين، وعلى الأسباب التي حملته على الدفاع عنهم، وعلى مدحهم . كما يتيح له الوقوف على آراء جاحظية هامة، في مواضيع كان قد تناولها في بعض أعماله الأخرى، مما سيساعد على التأكد من ماهية بعض هذه الآراء التي كثر النقاش حولها وتضاربت فيها الأقوال، فيسهم بذلك في محاولة البحث عن منهجية الجاحظ في تفكيره ومواقفه، تلك المنهجية المفقودة في نظر بعض الدارسين[٢] .

لذا رأينا من المناسب اخراج هذا الكتاب وتقديمه الى المكتبة العربية عامة، ولدارسي الجاحظ خاصة، بالشكل الذي يليق به وبكاتبه . وكان هذا الكتاب قد طبع على هوامش كتاب الكامل للمبرد، دون تحقيق، وبشكل غير مرض . كما وترجمت منه فقرات الى الانجليزية، على يد المستشرق Hartwig Hirschfeld الذي اعتمد على مخطوط لندن، فخرجت الترجمة غير دقيقة، ان لم نقل خاطئة في بعض المواضع [٣] . كما وانه ترجم الى الألمانية على يد المستشرق O. Rescher[٤] .

---

١ ـ راجع ما جاء في التصدير، صفحات ٩ ـ ١٠ .

٢ ـ سنتناول ذلك بالتفصيل في الصفحات التالية .

٣ ـ أنظر : Hirschfeld, *"A volume of essays by al-Jāḥiẓ"*

٤ ـ O. Rescher, *Excerpte und Ubersetzungen aus deem Schriften des Ǧāḥiẓ*, Stuttgart, 1931.

١ ـ أسباب تأليف كتاب المعلمين :

اذا ما رحنا نبحث عن الأسباب المباشرة، التي ساهمت ـ الى جانب المذهب الفلسفي الاجتماعي ـ في دفع كاتبنا الى تأليف هذا الكتاب . فسنجد أنها تتلخص في رغبة الجاحظ في رفع الضيم الذي لحق بهذه الفئة الاجتماعية الهامة في نظره، من جراء تحامل بعض المعاصرين عليها وتحقيرهم وذمهم لها، جاهلين أو متجاهلين أهميتها الاجتماعية والعلمية التربوية .

يعود هذا التحامل ـ في نظر الجاحظ، الى جهل هؤلاء المعاصرين وسخفهم، وعدم انصافهم، فقد أقاموا حكمهم على الهوى دون تفكير وتثبت، يحركهم في ذلك غضبهم وحقدهم على المعلمين، فحادوا عن طريق الحكماء الى سبل الجهلاء . لذا رأى الجاحظ أن من واجبه القيام بالكشف عن مواقع الخطأ والزلل في ذلك، والقيام بابطال حجج الذامين، من ناحية، واظهار محاسن المعلمين وفضائلهم الخافية عن أعين الجهال، من ناحية أخرى [١] .

والسؤال الذي يتبادر الى الذهن هو : هل كانت هناك دوافع جاحظية شخصية تغذي هذه الرغبة [٢]، أم أن موقف الجاحظ هذا هو موقف موضوعي لمفكر وكاتب يدرك مدى أهمية المعلمين والمؤدبين في نشر العلم والأدب والحفاظ عليهما ؟

في الحقيقة، اننا لا نجد في هذه الحالة، تناقضا بين دوافع الجاحظ الشخصية والموقف الموضوعي، فكما هو معلوم لدارسي أعماله، قدّس هذا الكاتب العلم والأدب ورأى بهما الوسيلة الوحيدة التي يمكن أن تسمو بالانسان نحو الأفضل، نحو السعادة في الدين والدنيا [٣] . ولما كان

١ ـ أنظر مقدمة الجاحظ لكتاب المعلمين ص ٥٩ من هذا الكتاب .

٢ ـ كما يعتقد المستشرق هيرشفيلد، ص ٢٠٢ من مقاله المشار اليه آنفا .

٣ ـ أنظر مقالنا : مفهوم الجاحظ للكتاب والكتابة، المنشور في مجلة الكرمل، أبحاث في اللغة والأدب، العدد الأول، عكا ١٩٨٠، ص ٣٥ ـ ٥٢ .

المعلمون والمؤدبون عاملا أساسيا في نشر العلم والأدب وفي احيائهما، فمن الطبيعي أن يوليهم الجاحظ حبّه واحترامه، وأن يدافع عنهم كطبقة اجتماعية، دون أن يدفعه حبه هذا الى الاعتقاد بأن كل من ينتمي اليها جدير بهذا الاحترام .

من ناحية ثانية، نعلم أن الجاحظ شارك بنفسه، وبشكل أعمق وأنجع، المعلمين والمؤدبين في عملية نشر العلم والأدب، سواء كان ذلك عن طريق رسائله وكتبه العديدة التي خصصها لهذا الهدف، أو عن طريق تعليم من كان يؤم بيته من طلّاب العلم والأدب كابن قتيبة والمبرد وغيرهما [1] . ليس من المستبعد أن يحمله ذلك على التعاطف مع من كانوا يشاركونه، نظريا وعمليا، مسؤولية نشر العلم والثقافة، فهو بنفسه، مؤدب ومعلم، ليس بالمعنى الضيق بل على التوسّع . ولربما كان يشعر، في بعض مراحل حياته، أنه ليس من المستبعد أن يطلب منه، كما طلب من أدباء وكتاب مشهورين سبقوه أو معاصرين له، القيام عمليا بمهمة تأديب بعض أبناء الخاصة أو أبناء الخليفة، وأن يلبّي ذلك، فهو، ان لم يكن مؤدبا

---

١ – حول تتلمذ ابن قتيبة على الجاحظ، أنظر ما قاله المستشرق لكومت (Lecomte) في كتابه : *Ibn Qutayba, L'homme, son oeuvre, ses idees,* Damas, 1969, pp. 58 - 59.

حيث يشير الى أن ابن قتيبة أجيز من قبل الجاحظ لرواية كتاب البخلاء، وهو يعتمد بذلك على ما قاله ابن قتيبة في عيون الأخبار، الجزء الثالث ص ١١٩، ٢١٦، ٢٤٩ .

أما عن تتلمذ المبرد على الجاحظ فانظر بلات، الجاحظ في البصرة، سامراء وبغداد، ترجمة الدكتور ابراهيم الكيلاني، دار اليقظة العربية، دمشق ١٩٦١ ص ١٩ و ص ١٣٩ حيث يعتمد على ابن عساكر، تاريخ دمشق ص ٢٠٣ . كما ويذكر بلات أسماء بعض من تتلمذوا للجاحظ أو استمعوا منه الأحاديث، هناك ص ١٣٨ – ١٣٩ . وانظر الدكتور عز الدين اسماعيل، المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي، بيروت ١٩٧٥ ص ١٥٢ .

وانظر أحمد شلبي، تاريخ التربية الاسلامية، ص ٢٠٩ .

بالفعل، مؤدب بالقوة [١] . لذا لم يكن ليتحمل هجوم بعض معاصريه الشديد على المعلمين والمؤدبين، وذمهم لهم دون تمييز بين جيدهم وسيئهم .

هذه هي دوافع الجاحظ الشخصية والموضوعية لتأليف كتاب المعلمين، وهي تلتقي كما يلاحظ القارئ، بحبه للعلم والأدب وغيرته عليهما ورغبته في نشرهما .

أما بالنسبة لزمن تأليف الكتاب، فاننا، للأسف الشديد، لا نملك أي دليل، داخلي أو خارجي، يمكن أن يساعدنا على تحديد ذلك بشكل قاطع . لكن ـ مع هذا ـ هنالك ما يشير الى أن هذا الكتاب ربما كان من آثار الجاحظ المتأخرة، التي كتبت بعد كتاب الحيوان وكتاب البيان والتبيين :

أ ـ لم يذكر الجاحظ في مقدمة كتاب الحيوان، فيما ذكر من أعماله التي عيبت وانتقدت [٢] .

ب ـ ان بعض الأفكار والآراء الجاحظية في كتاب المعلمين وردت في كتاب الحيوان وكتاب البيان والتبيين [٣] .

---

١ ـ تنقل كتب الأدب حديثا منسوبا الى الجاحظ جاء فيه :
"ذكرت للمتوكل لتأديب بعض ولده، فلما رآني استبشع منظري، فأمر لي بعشرة آلاف درهم وصرفني". أنظر ابن خلكان، وفيات الأعيان، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، القاهرة ١٩٤٨ الجزء الثالث، ص ١٤١ واعتمادا على هذه الرواية وعلى ما جاء في كتاب المعلمين من نصائح يسديها الجاحظ اليهم تدل على خبرة وتجربة، يفترض كل من هيرشفيلد وبلات أن الجاحظ عمل فعلا في مهنة التعليم في وقت من الأوقات، ويضيف بلات : نقول هذا "دون أن نستطيع تعيين المادة التي درّسها" . راجع ص ٢٠٢ من مقال هيرشفيلد المشار اليه آنفا، وص ٣٨٩ من كتاب بلات، الجاحظ . ونحن لا نستبعد هذا الافتراض .
وانظر أحمد شلبي، تاريخ التربية الاسلامية، ص ٢٠٩ حيث يقول : "نعتقد بأن الجاحظ مثلا، كان معلم جيله والأجيال التالية مع أنه لم يتخذ التدريس مهنة له" وهو يعتمد في قوله هذا على الخبر الذي أورده ابن خلكان والمشار اليه أعلاه .

٢ ـ أنظر كتاب الحيوان، ص ٣ ـ ٧ .

٣ ـ سنشير الى ذلك بالتفصيل في المقدمة وهوامش التحقيق .

جـ- بعض الأقوال، والفقرات والأشعار الواردة في كتاب المعلمين، وردت في الكتابين المذكورين أيضا [1].

د- أورد الجاحظ عدة ملاحظات عن المعلمين والتعليم في أماكن متفرقة من كتاب البيان والتبيين [2]. فربما عمد بعد ذلك الى التوسع في هذه الآراء وافراد كتاب مستقل بها.

وهذه الحقائق، مجتمعة، هي التي تجعلنا نميل الى اعتقاد ما قدمناه، بالنسبة لزمن تأليف كتاب المعلمين.

٢- موقف الجاحظ من المعلمين :

حظي هذا الموضوع باهتمام بعض الدارسين المعاصرين، كما حظي باهتمام بعض الأدباء القدماء. وكان هؤلاء قد اعتمدوا على نوادر وأخبار منسوبة للجاحظ تظهره وكأنه صاحب موقف سلبي من المعلمين [3]، مما أدى الى انتشار وشيوع الفكرة القائلة "بأن الجاحظ كان خصما عنيدا

١- أنظر : الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٩٧٥، الجزء الأول ص ٢٥٠ - ٢٥٢، ٢٧٢، ٤٠٢ - ٤٠٣. الجزء الثاني، ٣٨ - ٣٩، ٧٣ - ٧٤، ١٧٩ - ١٨٠، ٢٠٢ - ٢٠٣، ٢١٩.

٢- منهم أبو منصور الثعالبي، اللطائف والظرائف، ويواقيت في بعض المواقيت، جمع أبي نصر أحمد بن عبد الرازق المقدسي، القاهرة، المطبعة الشرفية، ١٣٢٥ هـ، ص ١١٧.

والشريشي، أحمد بن عبد المؤمن، شرح المقامات الحريرية، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، القاهرة، ١٩٥٢ الجزء الثاني ص ١٨٢ - ١٨٣، (شرح المقامة السادسة والأربعين، الحلبية). والأبشيهي، شهاب الدين أحمد، المستطرف في كل فن مستظرف، القاهرة د.ت، الجزء الثاني ص ٢٧٠ - ٢٧١. وقد أورد بعض هذه النوادر عبد السلام هارون في مقاله : الجاحظ والمعلمون، مجلة الكتاب، المجلد الثاني، أغسطس ١٩٤٦، ص ٥٦٧ - ٥٦٨.

للمعلمين" [١] . وبقيت هذه الفكرة منتشرة بين المثقفين والأدباء حتى عصرنا، بل حتى يومنا هذا [٢]، بالرغم من جهود بعض الدارسين المعاصرين في اظهار فسادها، معتمدين على كتب الجاحظ وليس على ما نسب اليه من نوادر وأخبار في كتب الأدب الأخرى . ولا شك، أن غياب كتاب المعلمين عن مكتبات المثقفين والأدباء كان عاملا مساعدا لبقاء الخطأ الشائع، ولعدم انتشار الحقيقة التي دأب على اظهارها بعض الدارسين كأحمد شلبي وعبد السلام هارون . وقد كتب هذا الأخير مقالا نشر في مجلة "الكتاب"، في أغسطس (آب) ١٩٤٦ قال فيه، وبحق : "ان الجاحظ لم يكن خصما للمعلمين . ولا شاغبا عليهم، ولا مجحفا بحقهم أو مستهينا بمكانتهم بين الناس بل كان مدرها للمعلمين، ولسانا ناطقا بفضلهم ومشيدا بما لهم من أثر صالح وفضل عظيم" [٣] .

الا أن بعضهم، ونقصد هنا الدكتورة وديعة طه النجم، التي أولت أعمال الجاحظ الاجتماعية اهتماما خاصا، لا يستبعد أن يكون الجاحظ قد ألف بالفعل كتابا في ذم المعلمين، احتوى على ما وصل الينا من النوادر والأخبار المشار اليها آنفا والتي تجعله من خصوم المعلمين . وبذلك يكون هذا الكاتب قد مدح المعلمين وذمهم في عملين مختلفين . وهذا ـ بالنسبة للدكتورة ـ ليس غريبا لدى كاتب عرف ـ بل اشتهر بين معاصريه ودارسيه المحدثين، بتنقله بين طرفي النقيض في المواقف والآراء، مادحا تارة وذاما أخرى لذات الموضوع أو الشيء، مطبقا بذلك فلسفته القائلة بنسبية الخير

---

١ ـ هذا ما لاحظه عبد السلام هارون، الجاحظ والمعلمون، ص ٥٦٤ . وانظر بلات، الجاحظ، ص ١٠٦ ـ ١٠٧ .

٢ ـ هذا ما لاحظته من رد فعل كل من حدثته، من مثقفي بلادنا، عن اشتغالي في تحقيق كتاب المعلمين .

٣ ـ أحمد شلبي، تاريخ التربية الاسلامية، ص ٢١٨ ـ ٢١٩ . عبد السلام هارون، الجاحظ والمعلمون، مجلة الكتاب المجلد الثاني، أغسطس (آب) ١٩٤٦ ص ٥٦٤ .

والشر، بنسبية الأمور [١].

ليس بالمستبعد أن يكون في مقدور الجاحظ القيام بمدح المعلمين وذمهم، خاصة وأنه يشير في كتبه الى بعض الصفات السيئة عند بعضهم، الا أننا لم نعثر على أي أثر لكتاب ذم المعلمين، اللهم الا تلك النوادر المبثوثة في كتب الأدب، والمنسوبة للجاحظ، والتي نشك كل الشك في صحة نسبتها اليه، كما نشك في صحة نسبة غيرها من النوادر والأخبار، وحتى الكتب، اليه [٢].

ومهما يكن من أمر، فان دراسة مختارات كتاب المعلمين، الذي نحن بصدده، تظهر بشكل واضح وقاطع لا يقبل الجدل، موقف الجاحظ الايجابي من المعلمين والمؤدبين، الذي نلمحه في ملاحظات مختصرة خصهم بها في البيان والتبيين [٣]. ويبرز هذا الموقف الايجابي بشكل واضح في كتاب المعلمين على ضوء الموقف السلبي الذي كان يتبناه بعض معاصري الجاحظ من الأدباء تجاه المعلمين والمؤدبين، والذي يلمّح له كاتبنا في البيان

١ ـ وديعة طه النجم، الجاحظ، ص ٢٤ ـ ٢٥ و ص ٦ ـ ٨، وهذا هو تقريبا رأي المستشرق شارل بلات، في كتابه عن الجاحظ ص ١٠٥ ـ ١٠٨. الا أنه يبدو أكثر حذرا فيقول ص ١٠٥. "بما أن كثيرين من الكتاب الذين سخروا في كتبهم من المعلمين قد اختبؤوا غالبا وراء الجاحظ فقد وجدنا عدم جدوى البحث عن موقف الجاحظ الحقيقي من هذه القضية".

٢ ـ قارن هذا مع رأي أستاذنا المستشرق شارل بلات، الجاحظ، ص ١٠٦ ـ ١٠٨ الذي يكاد يجيز لنفسه قبول صحة نسبة هذه النوادر الى الجاحظ، الا أنه يعود ويقول: ان التساؤل حول صحة ذلك أو عدمه يظل دون جواب في الوقت الحاضر.

٣ ـ هذا هو أيضا رأي عبد السلام هارون، الجاحظ والمعلمون، مجلة الكتاب ١٩٤٦، ص ٥٦٤ ـ ٥٧١ وخاصة ص ٥٧٠ ـ ٥٧١. كما أن المستشرق بلات وكذلك وديعة طه النجم يشيران في كتابيهما عن الجاحظ الى أن كتاب المعلمين يحتوي على دفاع عن هذه الطبقة. بلات، الجاحظ ص ١٠٥ ـ ١٠٨. وديعة طه النجم، الجاحظ، ص ٢٤ ـ ٢٥، ٨٤ ـ ٨٦.

راجع البيان والتبيين، الجزء الأول ص ٢٤٨ ـ ٢٥٢.

والتبيين، تلميحا مقتضبا[١] .

وترجع ايجابية موقف الجاحظ من المعلمين والمؤدبين بشكل خاص، وناشري العلم بشكل عام، الى حقيقة جوهرية تظهر لكل من درس كتاباته، وهي حقيقة تقديسه للعلم والأدب وايمانه بأنهما الوسيلة الوحيدة التي يمكن أن تسمو بالانسان نحو سعادته الدنيوية والدينية، كما سبق وقلنا . والمعلمون والمؤدبون – في نظر الجاحظ، من أوائل من يسهمون في نشر العلم والأدب واحيائه والحفاظ عليه، لذا ففضلهم عظيم ولا غنى عنهم[٢] . فالناس بحاجة الى مربين ومؤدبين ومدربين في كل نواحي الحياة الروحية والمادية والعلمية[٣] . اذ بدونهم لا يستطيعون اتقان وحذق الأعمال المختلفة . والحقيقة أننا كنا سنستغرب لو وقف الجاحظ موقفا مغايرا من ناشري العلم والأدب، ذلك لأنه عودنا، في مواضيع عقائدية وفكرية أخرى، على منهجية في التفكير واستمرارية في المواقف . لكننا لن نستغرب قيام الجاحظ بذم بعض الصفات السيئة المنتشرة بين بعض المعلمين، خاصة السفلة منهم، "فلكل قوم حاشية وسفلة"، ولكل قوم محاسن ومساوئ، بهذا آمن كاتبنا، وعلى حسبه سار وكتب[٤] .

ونظرة الجاحظ هذه الى المعلمين والمؤدبين، والى التعليم تعكس في جوهرها موقف الاسلام والمسلمين من الموضوع، كما يظهر ذلك عند

١ – البيان والتبيين، الجزء الأول ص ٢٤٨ – ٢٥٠، كتاب المعلمين، ص ٥٩. وانظر وديعة طه النجم، الجاحظ، ص ٨٣ – ٨٤ .

٢ – كتاب المعلمين ص ٥٩ – ٦٠ .

٣ – نفس المصدر ص ٦٣ – ٧٠ .

٤ – البيان والتبيين الجزء الأول ص ٢٥٠ – ٢٥١ . وفي الوكلاء، مجموعة رسائل الجاحظ، ص ١٥٦. وانظر عبد السلام هارون، الجاحظ والمعلمون، ص ٥٧٠. وبلات، الجاحظ ص ١٠٧ – ١٠٨ . ووديعة طه النجم، الجاحظ، ص ٨٤ – ٨٦ .

الغزالي وغيره [١]. كما وأنها لا تختلف في روحها عن نظرة التربية الحديثة الى الموضوع .

لذلك ليس غريبا ـ كما سبق وقلنا ـ أن ينتصر الجاحظ للمعلمين والمؤدبين، فيدأب على رفع الضيم الذي لحق بهم من جراء تحامل بعض الجهلة عليهم . فراح يشير الى مواقع خطأ الجهال، مفندا حججهم في ذم المعلمين، مظهرا محاسن المعلمين والمؤدبين وفضائلهم .

والمتتبع لأقوال الجاحظ وحججه التي اعتمد عليها في مدح المعلمين، سيجد أنها تنبع في الأساس من تلك الحقيقة الجوهرية التي أشرنا اليها سابقا، مدعومة بحجج أخرى استمدها الكاتب من واقع الحضارة الاسلامية .

وكتاب المعلمين لا يختلف بذلك عن غيره من كتب الجاحظ، حيث نجد الاهتمام ذاته بالحجج المنطقية من ناحية، والتاريخية الحضارية من ناحية أخرى .

فمما يدل على أهمية المعلمين والمؤدبين حسب رأي كاتبنا :

أ ـ حاجة الملوك لهم . يظهر ذلك جليا في عادة اتخاذ الملوك المؤدبين لتأديب أبنائهم على مر العصور [٢] .

ب ـ عدم استنكاف أصحاب العلم والأدباء الكبار عن العمل في هذه المهنة . يظهر ذلك جليا في حقيقة كون بعض النحويين والعروضيين

---

١ ـ عن المذهب التربوي عند الغزالي، أنظر : فتحية حسن سليمان، المذهب التربوي عند الغزالي، القاهرة الطبعة الثانية ١٩٦٤ . وانظر : الدكتور احمد فؤاد الأهواني، التعليم في رأي القابسي، القاهرة ص ١٩٤٥ حيث يستعرض أيضا ـ الى جانب رأي القابسي ـ آراء المسلمين في التربية والتعليم، كرأي اخوان الصفاء وابن مسكويه والغزالي وابن خلدون، لكنه لا يشير الى الجاحظ . كما أنه يلحق في كتابه رسالة أبي الحسن علي بن محمد بن خلف القابسي، الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين، هناك ص ٢٤١ ـ ٣١٨ . وانظر ابن خلدون، المقدمة، دار احياء التراث العربي، بيروت د.ت. ص ٤٢٩ ـ ٤٣٠ .

٢ ـ كتاب المعلمين ص ٦٣ .

والحسّاب والرواة والقضاة والفقهاء والشعراء والخطباء وغيرهم من أصحاب العلم والأدباء، معلمين ومؤدبين [١] .

جـ ـ حاجة الناس الى المعلمين في كل ميادين الحياة العملية [٢] .

هذا هو موقف الجاحظ من المعلمين والمؤدبين عامة كما يظهر في كتاب المعلمين، وكما نلمحه في تلك الأسطر التي خصّهم بها في كتاب البيان والتبيين . كما يمكن استنتاج ذلك من كلام هذا الكاتب في الجزء الأول من كتاب الحيوان، حيث يمدح الكتابة والكتب والتعلم [٣] . وهو يتفق تماما، كما سبق وأشرنا، مع نظرة الجاحظ الى العلم والأدب ووظيفتهما للانسانية [٤] .

الا أن اتصال الجاحظ الوثيق بحياة طبقات المجتمع المختلفة، وواقعيته جعلاه يدرك أنه "ما كل من يتسمى بالعزيز، لها أهل" . والمعلمون لا يختلفون في ذلك عن غيرهم من الطبقات والفئات، ففيهم الحاشية والسفلة وفيهم الخاصة والعلية . والمعلمون عنده على ثلاث طبقات : معلمو العامة، ومعلمو الخاصة، ومعلمو أبناء الملوك . ويكثر السفلة ـ كما يقول الجاحظ، بين معلمي كتاتيب القرى، لكن وجودهم لا يبرر بأي حال عن الأحوال، اتخاذ موقف سلبي من المعلمين بشكل عام [٥] .

٣ ـ الاراء الجاحظية الهامة التي تظهر في الكتاب :

يتيح لنا كتاب المعلمين، كما سبق وقلنا، الوقوف على آراء جاحظية

---

١ ـ نفس المصدر ص ٦٣ ـ ٦٤، ٧٩ . وراجع كتاب البيان والتبيين الجزء الأول ص ٢٥١ .
٢ ـ كتاب المعلمين ص ٦٤ ـ ٦٨ .
٣ ـ الحيوان، الجزء الأول ص ٣٨ ـ ١٠٢ .
٤ ـ راجع ملاحظة رقم ٣ ص ٢٦ .
٥ ـ البيان والتبيين، الجزء الأول، ص ٢٥٠ ـ ٢٥١ وفي الوكلاء، مجموعة رسائل الجاحظ ص ١٥٦ . وانظر عبد السلام هارون، الجاحظ والمعلمون، ص ٥٧٠، وبلات، الجاحظ ص ١٠٧ ـ ١٠٨ . وديعة طه النجم، الجاحظ، ص ٨٤ ـ ٨٦ .

هامة . في مواضيع كان قد تناولها الجاحظ في أعماله الأخرى :

أ ـ الحفظ والاستنباط :

اول هذه المواضيع موضوع الحفظ والاستنباط : فكل من يدرس أعمال هذا الكاتب يلاحظ حرصه الشديد على الاعتماد على العقل، على التفكير والتوقف والتثبت والاستنباط، ودعوته القراء الى ذلك، من ناحية، وكراهيته للخمول وسقوط الهمة وعدم الاعتماد على العقل والتفكير في كل خطوة من خطوات الانسان، من ناحية ثانية [1] . كما ويلاحظ اهتمام الجاحظ بالاداب الموروثة عن السابقين، والناتجة عن عقول حكمائهم، وحثه على حفظها والأخذ بها، اذ بها تنمو العقول وتزكو [2] .

ويؤكد ما جاء في كتاب المعلمين هذا الرأي، فالجاحظ يعقد هنا مقارنة بين الحفظ من ناحية والتفكير والاستنباط من ناحية ثانية، مؤكدا اهمية اجتماعهما لدى الانسان، لأن باجتماعهما تمام المصلحة . فالحفظ بلا نظر واستنباط يعني : اغفال العقل عن التمييز، وعدم الوصول الى المعاني . ومن كانت هذه صفاته يبقى مقلدا وفي حيرة من أمره، اذ الاستنباط، والاستنباط فقط، "هو الذي يفضي بصاحبه الى برد اليقين وعز الثقة" . لكن الاستنباط بلا حفظ قليل الفائدة، اذ أن المعاني المستنبطة لن تعلق بالقلب وسيقل مكثها في الصدر [3] .

---

١ ـ راجع مثلا كتاب الحيوان . الجزء الأول ص ٣، ٢٥، ٢٠٧ . وفي الوكلاء، مجموعة رسائل الجاحظ، ص ١٥٥ ـ ١٥٦ . والمعاد والمعاش، مجموع رسائل الجاحظ، تحقيق كراوس والحاجري ص ١ ـ ٣، ٦ ـ ٩ (أو في رسائل الجاحظ تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة ١٩٦٤، الجزء الأول ص ٩١ ـ ٩٢ و ص ٩٦ ـ ٩٩) . ورسالة في الجد والهزل، رسائل الجاحظ، الجزء الأول ص ٢٤٥ ـ ٢٤٦، ٢٥٠ .

٢ ـ المعاد والمعاش ـ مجموع رسائل الجاحظ، ص ٦ ـ ٩، رسائل الجاحظ الجزء الأول ص ٩٦ ـ ٩٩ .

٣ ـ كتاب المعلمين ص ٦٢ . قارن ذلك مع ما قاله في البيان والتبيين، الجزء الأول ص ٢٧٣ ـ ٢٧٤ .

والجاحظ يشير في نهاية هذه المقارنة الى الأحوال والظروف التي تساعد على الحفظ والاستنباط، ويلخص ذلك في فراغ القلب للشيء والشهوة له [١] . كما ويشير الى افضل الأوقات والفرص التي يجب على الانسان أن ينتهزها لعمليتي الحفظ والاستنباط، وهي ساعات الجمام وساعات الاسحار، أما المواضع، فأيها اختار الانسان لهذا الهدف فهو صالح [٢] .

ب ــ قضية اللفظ والمعنى :

أما الموضوع الثاني فهو قضية اللفظ والمعنى : كثر الحديث، كما هو معلوم، واختلفت الاراء حول موقف الجاحظ من هذه القضية المركزية التي شغلت معظم علماء البيان والنقاد العرب . فمن الدارسين من ينسب الجاحظ الى أصحاب اللفظ [٣]، يعتمدون في ذلك على قوله المشهور الوارد في كتاب

١ ــ كتاب المعلمين ص ٦٢ .

٢ ــ نفس المصدر ص ٦٢ . ويعبر ابن خلدون عن رأى مشابه في المقدمة، ص ٥٧٤ .

٣ ــ انظر، شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، القاهرة ١٩٦٥، ص ٥٢ ــ ٥٣ . وكذلك محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، بيروت ١٩٧٣، ص ٢٥٦ ــ ٢١٣ . الا أن هذا الكاتب يتابع الحديث عن الجاحظ في الصفحات التالية ٢٦٣ ــ ٢٦٧ وص ٢٨٥، ومن حديثه هذا يفهم أن الجاحظ لا ينتمي الى أصحاب اللفظ، فهو يقول : "ان الجاحظ لم يعن باللفظ الا لجلاء الصورة الأدبية، ولهذه الصورة أوثق رباط بالمعنى" هناك ص ٢٦٥، لكنه يعود ويقول في ص ٢٧٥ : "وقد أفاد عبد القاهر افادة كبيرة من انصار أصحاب اللفظ وترجيحه على المعنى، وبخاصة الجاحظ، ففي كتب الجاحظ بذور لأفكار عبد القاهر جميعها" . يقول هذا وهو يبرهن، في مجال حديثه عن عبد القاهر، ان هذا كان يرى أن الصلة وثيقة جدا بين الصياغة والمعنى، وانه كان يعتد بالألفاظ من حيث دلالتها وانه كان يرى أن اللفظ والمعنى متلازمان الى غير ذلك من الاراء النابعة من اعتبار عبد القاهر للألفاظ بأنها وسيلة لا غاية، لذا فلا أهمية لها في ذاتها ص ٢٦٧ ــ ٢٨٦ وفي كل هذا، كما سنرى، لا يختلف عبد القاهر عن الجاحظ . ونشعر أن الدكتور غنيمي هلال لاحظ ذلك الا أنه لم يتراجع بشكل واضح عن ادخاله للجاحظ في أصحاب اللفظ، فخرج كلامه متناقضا . وانظر :

G. E. Von Grunebaum, "*The concept of plagiarism in Arabic Theory*", *JNES*, 3, 1944, p. 246.

الحيوان ، والذي نقله وردده كتاب البيان والبلاغة من بعده [١] ، وكأنه القول الوحيد والأساسي الذى يعكس رأيه في هذا الموضوع . وهذا القول هو : "المعاني مطروحة في الطريق ، يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي ، وانما الشأن في اقامة الوزن وتخيّر اللفظ وسهولة المخرج وكثرة الماء وفي صحة الطبع وجودة السبك ، وانما الشعر صياغة وضرب من النسيج وجنس من التصوير" [٢] .

ومنهم من توصل ، بعد بحث شامل في أعمال الجاحظ ، الى اكتشاف أقوال وملاحظات جاحظية أخرى يجب أن نوءخذ بعين الاعتبار عند مناقشة موقفه من اللفظ والمعنى . وعندما درسوها وجدوا ، وبحق ، أن الجاحظ لا يمكن أن ينتمي الى أصحاب اللفظ الذين يهملون المعنى ، كما أنه لا ينتمي الى أصحاب المعنى ، بل هو ممن يولون العنصرين كليهما ، ذات الأهمية ، وممن يذهبون الى القول بان هناك صلة وثيقة بين المعنى واللفظ وانهما متلازمان ، وان البلاغة لا تقوم على واحد منهما بل على اجتماعهما الموفق [٣] .

لا نريد هنا بحث هذا الموضوع بتوسع لأن بعض الدراسات المشار اليها آنفا ، والمنتمية الى الفئة الثانية ، تكفينا ذلك ، لكننا نريد أن نوءكد بأن ما أورده الجاحظ في كتاب المعلمين ، يدعم آراء هذه الفئة الثانية ، وأن بعض ما أورده هنا مبثوث في تضاعيف كتبه ورسائله الأخرى ، خاصة

---

١ ـ منهم أبو هلال العسكري ، كتاب الصناعتين ، حققه البجاوى ومحمد أبو الفضل ابراهيم ، القاهرة ، ١٩٥٢ ، ص ٥٧ ـ ٥٨ . وعبد القاهر الجرجاني ، دلائل الاعجاز ، القاهرة ، ١٣٣١ هـ ، ص ١٩٦ ـ ١٩٨ ، ويشير الى ذلك غنيمي هلال في كتابه النقد الأدبي ص ٢٦٩ .

٢ ـ الحيوان ، الجزء الثالث ص ١٣١ ـ ١٣٢ .

٣ ـ راجع فكتور شلحت ، النزعة الكلامية في أدب الجاحظ ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٤ ، ص ٤٦ ـ ٦١ وحنا أبو حنا ، قضية اللفظ والمعنى بين الجاحظ وعبد القاهر ، مجلة الشرق ، العدد الخاص بالأدب العربي القديم ، أشرف على تحريره الدكتور جورج قنازع ، القدس ، حزيران ـ أيلول ١٩٧٤ ، ص ٤٧ ـ ٦٤ . وقارن ذلك بما قاله الدكتور غنيمي هلال في كتابه النقد الأدبي ، ص ٢٥٦ ـ ٢٨٥ .

في البيان والتبيين والحيوان . ولا شك أن في اجتماع هذه الأقوال وتركزها هنا، وورودها بشكل نصائح للمربي، ما يشير الى مدى تمسك وايمان الجاحظ بمعانيها . فهي هنا ليست مجرد ملاحظة عابرة يعلّق بها هذا الكاتب على رأي ما، كما وأنها ليست أقوالا متناثرة لا رابط بينها، بل هي عرض مكثّف - نسبيا - وهادف، أو قل هي اجمال لموقف الجاحظ من هذه القضية . فبعد أن يدعو الى ارشاد المتعلم الى اتباع الأسلوب المثالي، وهو أسلوب الكتّاب الذين يتلطفون للمعنى الغامض فيقربونه الى الافهام بلفظ سهل قريب المأخذ، يشير الى فساد استكراه العبارة، ثم يؤكد أن أكرم الكلام ما كان افهاما للسامع وما كان مقصورا على معناه لا مقصرا عنه ولا فاضلا عليه [1] . ثم يذم من يهتم باللفظ ويتكلّفه ويغرق في ذلك دون الاهتمام بوضوح المعنى، فلا تكشف عنه العبارة ويبقى مستورا، "وتصير العبارة لغوا وظرفا خاليا" . ويؤكد أن "شر البلغاء من هيأ رسم المعنى قبل أن يهيئ المعنى، عشقا لذلك اللفظ وشغفا بذلك الاسم، حتى صار يجر اليه المعنى جرا ويلزقه به الزاقا . حتى كأن الله لم يخلق لذلك المعنى اسما غيره ومنعه الافصاح عنه الا به" . والآفة الكبرى أن يتكلف ذلك تكلفا [2] .

ومن الواضح، اذن، أن الجاحظ لا يقبل بأن يسبق تواجد اللفظ تواجد المعنى، بل العكس هو الصحيح . لذلك فمن يتصفح كتب الحكماء ليستفيد المعاني فهو على سبيل صواب، وليس الأمر كذلك بالنسبة لمن نظر اليها ليستفيد الألفاظ، فهذا على سبيل الخطأ . ذلك لأن الثاني يظهر حريصا على الألفاظ كلفا بها، وقد يحمله هذا على استعمالها في غير موضعها، وفي ذلك الفساد، كل الفساد [3] . أما الأول فانه من الطبيعي بل من

---

١ - كتاب المعلمين ص ٧٤ . وانظر كتاب الحيوان الجزء الثالث ص ٣٩ . والبيان والتبيين الجزء الأول ص ١٣٥ - ١٣٩ .

٢ - كتاب المعلمين ص ٧٥ . يقتبس شلحت في ص ٤٧ من كتابه النزعة الكلامية هذه العبارة، ويقول في الهامش انها موجودة في رسالة تفضيل النطق على الصمت، في مجموعة رسائل الجاحظ، طبعة الساسي ص ١٥٩، ويتابعه في ذلك الأستاذ حنا أبو حنا، في مقاله المنشور في الشرق، ص ٥١ وهذا خطأ، اذ وردت هذه العبارة في رسالة مدح التجار وذم عمل السلطان، كما سبق وذكرنا في التصدير .

٣ - كتاب المعلمين ص ٧٥ - ٧٦ .

المحمود أن ينشد العلم والمعرفة ـ يعني المعاني ـ في كتب الحكماء لأنه في ذلك لا يختلف عن أي طالب علم، ولأن وجود المعاني يسبق وجود الألفاظ في عملية التفكير والخلق . والجاحظ يدرك، تمام الادراك، الفرق بين عملية التفكير والاستنباط، التي تشكل المرحلة الأولى في الوصول الى المعاني، وبين عملية التعبير أو البيان عنها، وينادي بأن يختار البليغ الألفاظ الملائمة لهذه المعاني . "فلكل معنى شريف أو وضيع، هزل أو جد، حزم أو اضاعة، ضرب من اللفظ هو حقه وحظه ونصيبه الذى لا ينبغي أن يجاوزه ويقصّر دونه" [1] . فالألفاظ، كما يبدو، تبع للمعاني، لكن هذا لا يعني أنها أقل أهمية منها في اضفاء صفة البلاغة على الكلام، اذ أن المعاني بدون الألفاظ الملائمة ستبقى مستورة ومحجوبة، والفضل كل الفضل، في ايصالها الى قلب المستمع أو القارئ، يعود الى مدى التناسب بينها وبين الفاظها . من هنا، كان الاهتمام بالألفاظ لذاتها فاسدا في نظر الجاحظ، أما الاهتمام بها بهدف انتقاء ما يلائم المعنى ويناسبه منها، فواجب [2] .

على ضوء هذا يمكن أن نفهم السبب الذي حمل الجاحظ على التعليق على موقف أبي عمرو الشيباني بقوله المشار اليه آنفا [3] كما ويمكن أن نفهم هذا التعليق فهما مغايرا لما فهمه أبو هلال العسكري وغيره

---

١ ـ نفس المصدر ص ١١، وانظر الحيوان الجزء الثالث ص ٣٩، والبيان والتبيين الجزء الأول ص ١٣٦ . وانظر شلحت، النزعة الكلامية في أدب الجاحظ، ص ٤٨ ـ ٥٣ حيث يستعرض "شروط الجاحظ في اختيار الألفاظ" . وغنيمي هلال، النقد الأدبي ص ٢٦٥ .

٢ ـ كتاب المعلمين، ص ٧٥ ، في مدح التجار وذم عمل السلطان، مجموع رسائل الجاحظ، ص ١٤٤ . أنظر شلحت، النزعة الكلامية، ص ٤٨ ـ ٥٣ . وانظر غنيمي هلال، النقد الأدبي، ص ٢٦٥ ـ ٢٦٧ .

٣ ـ أنظر ص ٣٧ من هذه المقدمة ـ وقد جاء هذا القول تعليقا على استحسان أبي عمرو الشيباني لبيتي الشعر :

لا تحسبن الموت موت البلى فانما الموت سؤال الرجال
كلاهما موت ولكن ذا أفظع من ذاك لذل السؤال

أنظر الحيوان الجزء الثالث ص ١٣١ . وانظر غنيمي هلال، النقد الأدبي، ص ٢٥٣ ـ ٢٥٤، ٢٥٦ ـ ٢٥٧ . ومقال الأستاذ حنا أبو حنا في الشرق ص ٥١ .

من القدماء، وبعض الدارسين المحدثين . فنحن لا نعتقد أن في هذا القول ما يناقض مذهب الجاحظ العام في هذه القضية، خاصة وأنه جاء ردا على رأي يهمل الألفاظ في الشعر اهمالا تاما، ويولي المعاني كل الاهتمام . وهو رأي يتناقض كليا مع موقف الجاحظ المعتدل، الذي يولي كلا العنصرين ذات الأهمية، مع اعلانه "أن الشعر صياغة وضرب من النسيج وجنس من التصوير"، وأن البلاغة تعني، فيما تعنيه، "افهامك العرب حاجتك على مجاري كلام الفصحاء" [١]، وأن الكلام لا يستحق اسم البلاغة، حتى يسابق معناه لفظه، ولفظه معناه"، فلا يكون لفظه الى سمعك أسبق من معناه الى قلبك" [٢] .

ويمكن أن نفهم، بالاضافة الى كل ذلك، سبب اهتمام الجاحظ "بالقران"، فليس هذا الاهتمام الا انبثاقا من موقفه في قضية اللفظ والمعنى . ومن الملاحظ أنه يشير الى "القران"، ويطالب بوجوده في الشعر عندما يتحدث عن موضوع اللفظ والمعنى . وهذا ما يفعله في كتاب المعلمين أيضا [٣] . وكلامه هنا يساعدنا على فهم العلاقة بين هذين الموضوعين بشكل واضح جلي، فبعد أن يذم الاهتمام بالألفاظ لذاتها، لأن ذلك يؤدي الى استعمالها في غير مكانها، يقول : "لذلك قال بعض الشعراء لصاحبه : أنا أشعر منك، قال صاحبه ولم ذاك ؟ قال : لأني أقول البيت وأخاه، وأنت تقول البيت وابن عمه" [٤] .

فالاهتمام بالألفاظ لذاتها، قبل وجود المعنى في ذهن القائل، يؤدي بلا شك الى الاضطراب في مبنى الكلام، ولا يحافظ على "القران"

---

١ ــ البيان والتبيين الجزء الأول، ص ١٦٢ .

٢ ــ البيان والتبيين، الجزء الأول ص ١١١، ١١٥ . وانظر كتاب الدكتور ميشال عاصي، مفاهيم الجمالية والنقد في أدب الجاحظ، بيروت ١٩٧٤ ص ٢٤ ــ ٣٥ . وشلحت، النزعة الكلامية، ص ٤٨ ــ ٥٥ . ٦٦ ــ ٦٧ .

٣ ــ البيان والتبيين، الجزء الأول ٦٦ ــ ٦٩ . ٢٠٦ ــ ٢٠٧ . ٢٢٨ وكتاب المعلمين ص ٧٦ .

٤ ــ كتاب المعلمين، ص ٧٦ .

بين أجزائه، لأن هذا "القران" لا يمكن أن يكون نتيجة للألفاظ، بل هو قبل كل شيء نتيجة لعملية التفكير والاستنباط التي تؤدي الى ايجاد المعاني المترابطة. وانتظام هذه المعاني في الفكر أولا هو الذي يضمن انتظامها وتناسقها في القول، بعد اختيار ما يصلح لها من ألفاظ. لذلك فمن يصل الى المعاني أولا ثم يدأب على اختيار ما يلائمها من ألفاظ، ينتظم قوله فيقول البيت وأخاه وليس البيت وابن عمه. وقد عالج الجاحظ موضوع "القران" في البيان والتبيين، وانتهى الى القول بان : "أجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء، سهل المخارج، فتعلم انه قد أفرغ افراغا واحدا، وسبك سبكا واحدا، فهو يجري على اللسان كما يجري الدهان". وأما ما كان بعكس ذلك فهو مذموم اذ يخرج "كأولاد العلّات وكبعر الكبش" كما قال الشاعر :

وبعض قريض القوم أولاد علّة يكدّ لسان الناطق المتحفظ

وكما قال الآخر :

وشعر كبعر الكبش فرق بينه

لسان دعيّ في القريض دخيل[1]

كما أنه أورد في مكانين آخرين من البيان والتبيين، وفي مجال حديثه عن موضوع القران، الحوار بين الشاعرين المتفاضلين، المشار اليه آنفا [2].

وتأتي أقوال الجاحظ في كتاب المعلمين لتوضح هذا الموقف، ولتؤكد أنه لم يكن من الذين يرون البلاغة والجمال في الألفاظ المفردة والعبارات المبعثرة، بل هو من أولئك الذين ينظرون الى الأثر الأدبي نظرة كلية، باحثين عن التناسق والقران بين مركباته المختلفة، من معان وألفاظ وجمل وعبارات [3]. الا أنه لا يكتفي بذلك في هذا الكتاب، بل يقدم للراغبين

١ــ البيان والتبيين، الجزء الأول ٦٦ ــ ٦٩.

٢ــ نفس المصدر، ص ٢٠٦، ٢٢٨.

٣ــ أنظر شلحت، النزعة الكلامية، ص ٥٣ ــ ٥٤ وحنا ابو حنا، قضية اللفظ والمعنى الشرق، ص ٥٢.

في فن القول والنظم، نصيحة قيّمة وهامة، ما زال بعض النقاد يرى أنها أساس كل نجاح في عملية نظم الشعر. فعلى الراغب في اتقان فن النظم، والتعبير بشكل عام، أن يقرأ ويسمع الكثير الكثير من الألفاظ التي يجب أن "تدور في مسامعه وتغيب في قلبه وتختمر في صدره، فاذا طال مكثها تناكحت ثم تلاقحت فكانت نتيجتها أكرم نتيجة وثمرتها أطيب ثمرة، لأنها حينئذ تخرج غير مسترقة ولا مختلسة ولا مغتصبة ولا دالة على فقر اذ لم يكن القصد الى شيء بعينه، والاعتماد عليه دون غيره". ويضيف الجاحظ قائلا : "فبين الشيء اذا عشش في الصدر ثم باض ثم فرّخ ثم نهض، وبين أن يكون الخاطر مختارا واللفظ اعتسافا واغتصابا فرق بيّن. ومتى اتكل صاحب البلاغة على الهوينا والوكالة، وعلى السرقة والاحتيال لم ينل طائلا، والوجه الضار: ان يتحفظ ألفاظا عيانها من كتاب بعينه أو من لفظ رجل ثم يريد أن يعد لتلك الألفاظ قسمتها من المعاني، فهذا لا يكون الا بخيلا فقيرا وحائفا سروقا ... ويكون مضطرب التأليف منقطع النظام"[1].

يدعو الجاحظ، اذن، الى الاكثار من القراءة والسماع للكلام الشريف لكي يختمر ذلك في داخل الأديب ويتلاقح فينتج عن ذلك بالطبع، كما هو الوضع في عالم الحيوان، نتاج خاص، ذاتي وأصيل. وهو ينادي بالامتناع عن الاعتماد على التقليد والسرقة، خاصة في مجال الألفاظ والتعابير.

هل هناك حاجة الى أن نذكّر هنا بأن اهتمام الجاحظ بالألفاظ، كما يظهر في هذا النص، لا يعني أنه يهمل المعاني، بعد أن كنا قد أشرنا الى أنه يحبذ النظر في كتب العلماء لاستفادة المعاني وليس لاستفاده الألفاظ ؟

ان ما يقوله الجاحظ هنا لا يتناقض والنص السابق، فهو يحذر من

---

١ - كتاب المعلمين، ص ٧٧ . وانظر كتاب البيان والتبيين، الجزء الأول ص ٨٦ . قارن ذلك مع ما قاله ابن خلدون في المقدمة، ص ٥٧٤ .

تصيّد الألفاظ لذاتها بغية اعادة استعمالها، أما القراءة والسماع لتقوية ملكة التعبير بالأسلوب الذي يقترحه، فهذا أمر آخر، محمود ومحبذ، دعا اليه الجاحظ، كما هو معروف، في كتاب البيان والتبيين ايضا [١].

وأخيرا، فان الجاحظ يهتم، كل الاهتمام، بالألفاظ كوسيلة وأداة لايصال المعاني (الأفكار) وليس كغاية. فالألفاظ في نظره، كما هو الحال عند عبد القاهر الجرجاني، تابعة للمعاني خاضعة لها من حيث ترتيب القول ونظامه وتناسقه، شعرا ونثرا، وذلك لأنها تابعة لها في الوجود، بل ان وجود الألفاظ ما هو الا نتيجة لوجود المعاني [٢].

وتجدر الاشارة هنا، الى أن كاتبنا لا يتحدث في كتاب المعلمين عن العامل الثاني الذي يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار، الى جانب ماهية المعاني ونوعيتها، عند اختيار الألفاظ، ونقصد وضع المستمعين أو القراء وحالتهم، المناسبة التي يقال فيها الكلام، بينما يكثر من الحديث عنه في أعماله الأخرى، خاصة في البيان والتبيين، حيث ينادي بالاهتمام به وأخذه بعين الاعتبار عند الشروع في القول أو الكتابة [٣]. ولا شك أن

---

١ – البيان والتبيين، الجزء الأول ص ٨٥ – ٨٦، ١٣٥ – ١٣٦، ١٤٥، ٢٧٤، الجزء الثاني، ص ٧ – ٨. والجاحظ بتأليفه لهذا الكتاب انما أراد، فيما أراده، أن يسهم في مجهود المعتزلة في تعليم البلاغة والبيان والخطابة وجميع أنواع فنون القول بعد أن أصبحت هذه علوما كغيرها من العلوم تستلزم التعليم والتدريب، وهذا ما جعل ابن خلدون يعده في عداد أعمدة الأدب الأربعة، ناقلا بذلك رأي شيوخه، المقدمة، ص ٨٠٥. وهذا ما يجمع عليه دارسو الجاحظ والبيان العربي، أنظر مثلا ما قاله طه حسين، البيان العربي من الجاحظ الى عبد القاهر، مقدمة كتاب نقد النثر المنسوب لقدامة بن جعفر، القاهرة ١٩٣٣ ص ٥ – ١٠ والحاجري، الجاحظ، ص ٤٢٦ – ٤٣٢، وشلحت النزعة الكلامية، ص ٢٦ – ٣٢، ٣٧ – ٣٨. وعز الدين اسماعيل المصادر الأدبية، ص ١٤٠ – ١٤٣.

٢ – أنظر شلحت، النزعة الكلامية، ص ٥٣ – ٥٤، ٦٦ – ٦٧.

٣ – الحيوان، الجزء الأول، ص ٢٠١، الجزء الثالث ص ٣٦٨ – ٣٦٩، البيان والتبيين، الجزء الأول ص ٩٢ – ٩٣، ١١٦، ١٣٦ – ١٤١. وانظر طه الحاجري، الجاحظ، ص ٤٢٢، وشلحت، النزعة الكلامية، ص ٣٧، ٤٧ – ٤٩. وميشال عاصي، مفاهيم الجمالية ص ٢٨ – ٢٩. شوقي ضيف البلاغة تطور وتاريخ، القاهرة ١٩٦٥ ص ٤٦ – ٤٧.

اهتمام الجاحظ هذا نابع من نظرته الى اللفظ واعتباره وسيلة، لا غاية . ومن مظاهر هذه الرؤية العامة التي تميّز بها الجاحظ، انه لا يستنكف عن ذكر النوادر والطرائف العامية بلغتها الأصلية بلا اعراب، لأنه يعلم أنها ستفسد اذا ما نقحت وأعربت، واذا ما تخيّر لها اللفظ الحسن الفصيح [١] . كما ويظهر ذلك في قيامه بتأليف الكلام ونظم الشعر في موضوع معين على لسان طبقات وفئات اجتماعية مختلفة، من صناع وعمال وأصحاب مهن متنوعة، لكل منها تعابيره وألفاظه ومفرداته الخاصة [٢] .

جـ ـ الموقف من اللواط :

موقف الجاحظ من اللواط ـ كما يظهر من خلال رسالتيه مفاخرة الجواري والغلمان، وتفضيل البطن على الظهر، موقف سلبي للغاية [٣] . وها هو في كتاب المعلمين يعود ليؤكد احتقاره لهذه العادة ـ التي انتشرت انتشارا واسعا في عصره وكان لها أنصارها والمدافعون عنها [٤] ، فيخصص لذلك عدة أسطر يشير فيها الى قبحها في ذاتها والى موقف الاسلام السلبي منها [٥] .

---

١ ـ أنظر الحيوان، الجزء الأول ص ٢٨٢، والبيان والتبيين، الجزء الأول ص ١٤٥ ـ ١٤٦ . وشلحت، النزعة الكلامية، ص ٦١ . ومبشال عاصي، مفاهيم الجمالية، ص ١٩١ .

٢ ـ أنظر مثلا رسالته "في صناعات القواد". رسائل الجاحظ، الجزء الأول ص ٣٧٩ ـ ٣٩٣ .

٣ ـ أنظر، مفاخرة الجواري والغلمان، رسائل الجاحظ، الجزء الثاني ص ٨٩ ـ ١٣٧ وخاصة ص ١٠٧ ـ ١١٣ حيث يظهر صاحب الغلمان شعوبيا يكره العرب (البدو) و ص ١٢٥ حيث يتضح موقف الجاحظ السلبي من أصحاب الغلمان . وفي تفضيل البطن على الظهر، تحقيق شارل بلات، في حوليات الجامعة التونسية، العدد ١٣، ١٩٧٦، ص ١٨٣ ـ ١٩٢ . وانظر ما كتبه هذا المستشرق في مقدمة التحقيق ص ١٨٣ حيث يقول : "ان مضمونها (الرسالة) يؤكد ما أبداه أبو عثمان من الاراء في كتابه الموسوم بمفاخرة الجواري والغلمان". وانظر، وديعة طه النجم، الجاحظ، ص ١٢٣ .

٤ ـ أنظر بلات، الجاحظ، ص ٣٥٩ ـ ٣٦٠، وديعة طه النجم، الجاحظ، ص ١٢٣ .

٥ ـ كتاب المعلمين ص ٧٨ ـ ٧٩ .

والسؤال الذي يطرح نفسه، لماذا يذم الجاحظ اللواط في كتاب المعلمين، ولماذا يتوسط حديثه عن هذا الموضوع الفصول التي عرض فيها منهاجه التربوي التعليمي ؟ فالقارئ يفاجأ، بعد الانتهاء من الفصل الخاص بالأسلوب التعبيري المثالي الذي يجب أن يؤخذ به الصبي، بفصل في ذم اللواط، في حين أنه كان ينتظر استمرار عرض المنهاج . وللنظرة الأولى، يظهر هذا الفصل وكأنه دخيل على الكتاب، اذ لا رابط يربطه بما قبله ولا بما بعده، كما وأنه يخلو من أية اشارة الى المعلمين، مما حمل بعضهم على الاعتقاد بأن أحد الناس أدخله في كتاب المعلمين بالخطأ[١] . وهذا أمر غير مستبعد، لكن بما أن كلا المخطوطتين قد احتوتا عليه، وكذلك الأمر بالنسبة لما طبع على هوامش كتاب الكامل، فلا يبقى أمامنا الا محاولة التخمين لفهم سبب وجود هذه المادة هنا، معتقدين بأن هذا الفصل ليس دخيلا بل هو جزء من حديث أطول عن الموضوع .

ويبدو لنا أن صلة الموضوع بالكتاب تكمن في حقيقة انتشار اللواط بين بعض المعلمين في ذلك العصر، مما جعل كثيرين يخشون على صبيانهم منهم، فكان ذلك، على ما يبدو، من أسباب الموقف السلبي من المعلمين[٢] . ونحن نعلم صحة ذلك من الكتب والمصادر الأخرى[٣] . فليس غريبا، اذن، أن يحاول الجاحظ، في كتاب يخصصه للمعلمين، بحث هذه الظاهرة، ذاما لها، كما ذمّها في رسائله الأخرى. وذلك لكي يتجنبها المعلمون فيكون ذلك بمثابة تحذير لهم من اللواط ودعوة الى الابتعاد عنه . وعليه، يندرج ذلك في اطار النصائح التي يقدّمها الجاحظ للمعلم في هذا الكتاب .

---

١ – يعتقد المستشرق شارل بلات أن هذا الفصل جزء من كتاب مستقل للجاحظ في هذا الموضوع، أنظر كتابه : الجاحظ، ص ٣٥٩ – ٣٦٠ ومقاله :

"*Essai d'inventaire* "*Arabica*, 3, P. 164.

وهو يعتمد على البغدادي، كتاب الفرق ص ١٦٢ وعلى بروكلمان، تاريخ الأدب العربي الجزء الثالث ص ١١٧، وكذلك الأمر بالنسبة لوديعة طه النجم، الجاحظ، ص ٢٤ – ٢٧ .

٢ – أنظر بلات، الجاحظ، ص ١٠٥ .

٣ – أنظر مثلا البيهقي، المحاسن والمساوئ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، القاهرة ١٩٦١، والشريشي، شرح المقامات الحريرية، ص ١٨٥ – ١٨٦ .

د ـ رأيه في ابن المقفع والخليل بن أحمد :

يخصص الجاحظ، في كتاب المعلمين، عدة ملاحظات أصيلة وفريدة، لابن المقفع [١] . منها ما انفرد به هذا الكتاب عن بقية المصادر القديمة، مشكلا المرجع الوحيد لاستيضاح بعض نواحي حياة هذا الكاتب .

فحقيقة كونه مولى لال الأهتم، التي يذكرها الجاحظ هنا، لم تذكرها المصادر القديمة الأخرى التي تحدثت عن ابن المقفع [٢] . ومع ذلك يشير معظم الباحثين المعاصرين الذين تناولوا هذا الكاتب بالدراسة الى أنه، كأبيه، كان مولى لال الأهتم، نشأ بينهم، وعنهم أخذ الفصاحة، لأنهم كانوا معروفين بها وبحلاوة النطق . ولا يذكر هؤلاء الدارسون، للأسف الشديد، من أي مصدر استقوا معلوماتهم هذه . ألم يكن ذلك من كتاب المعلمين ذاته، الذي اقتبس عبارته محمد كرد علي في مقدمة تحقيقه

---

١ ـ كتاب المعلمين ص ٧٩ ـ ٨٠ .

٢ ـ كتاب المعلمين، ص ٧٩، لا نجد ذلك في المراجع القديمة الأخرى المعتمدة لدراسة حياة ابن المقفع وأدبه، والتي يشير اليها كلّ من D, Sourdel *"La biographie d'Ibn al-Mukaffa^c d'apres les sources anciennes"*, Arabica, 1, 1954 pp. 307 - 323.

ورضا كحالة، معجم المؤلفين. دمشق ١٩٥٨، الجزء السادس، ص ١٥٦، وفؤاد افرام البستاني في دائرة المعارف التي يشرف عليها، الجزء الرابع ص ٦٩ و Gabrieli في مادة ابن المقفع في دائرة المعارف الاسلامية $E.I._2, III$ ، وبروكلمان، تاريخ الأدب، الجزء الثالث ص ٩٢ ـ ٩٣ ومن هذه المراجع، كتاب الوزراء والكتاب للجهشياري والفهرست لابن النديم. ومسالك الممالك للاصطخري. وتاريخ الحكماء للقفطي، ووفيات الأعيان، لابن خلكان، والبداية والنهاية، لابن كثير، وأنساب الأشراف، للبلاذري .

لأعمال ابن المقفع في اطار رسائل البلغاء ؟ [1] وكذلك الأمر بالنسبة لنشاط ابن المقفع الكلامي، الذى تجلى في رسالته الهاشمية التي تشهد، كما يقول الجاحظ، بان ابن المقفع "لم يكن يحسن الكلام" وانه كان متطفلا عليه [٢] . فالمصادر القديمة، وبعض الدراسات الحديثة، لا تذكر بين أعمال هذا الكاتب رسالة كلامية [٣]، ومن يذكر ذلك، من المعاصرين، يعتمد على كتاب المعلمين [٤] . ولكننا نجد ابن طيفور يطلق اسم الهاشمية على رسالة ابن المقفع المشهورة باسم رسالة الصحابة [٥]، وهي ـ كما هو معروف ـ بعيدة كل البعد عن موضوع الكلام، ولا يوجد فيها "حكاية لدعوى القوم"، ولا نشعر بأن كاتبها "رديء المدخل في مواطن الطعن عليهم"، كما قال الجاحظ، منتقدا للرسالة الهاشمية [٦] . لذا، فليس من المستبعد أن يكون ابن طيفور قد أخطأ حين أطلق هذا الاسم على رسالة الصحابة معتقدا أنه لا وجود

---

١ ـ محمد كرد علي، رسائل البلغاء، القاهرة ١٩١٢، ص ٨ أحمد أمين، ضحى الاسلام، دار الكتاب العربي، بيروت د.ت. ص ١٩٥ عبد اللطيف حمزة، ابن المقفع، القاهرة ١٩٦٥ ص ٣٨ .
حنا الفاخوري، ابن المقفع، دار المعارف بمصر د.ت. ص ١١ جورج غريب، عبد الله بن المقفع، بيروت د.ت. ص ٢٠ ـ ٢١، فؤاد افرام البستاني، دائرة المعارف، بيروت الجزء الرابع ص ٦٢، عمر أبو النصر، مقدمة كتاب آثار ابن المقفع، بيروت ١٩٦٦ص ٧ ـ ٨ .
ومن المستشرقين من لا يشير الى ذلك مطلقا، أنظر بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، الجزء الثالث ص ١٠٠، وكذلك : F. Gabrieli, *"L'opera di Ibn al-Mukaffa*[c]*"*, *RSO*, XIII, 1932, pp. 197 - 247.
وكذلك مادة ابن المقفع التي كتبها لدائرة المعارف الاسلامية . وكذلك مقال D. Sourdel المشار اليه آنفا .

٢ ـ كتاب المعلمين ص ٧٩ .

٣ ـ كل المراجع المذكورة في الملاحظة ١ ما عدا فؤاد افرام البستاني .

٤ ـ فؤاد افرام البستاني، المرجع المذكور أعلاه، ص ٦٨ .

٥ ـ كرد علي، رسائل البلغاء ص ٨ حيث يقتبس فقرة كتاب المعلمين عن ابن المقفع. حمزة، ابن المقفع، ص ١٣٥ ـ ١٣٦، والفاخوري، ابن المقفع، ص ٢١ .

٦ ـ كتاب المعلمين، ص ٧٩ .

لرسالة مستقلة تحمل هذا العنوان، بعكس ما يفهم من كتاب المعلمين .

ويحمل لنا هذا الكتاب، أيضا، بعض الصفات التي رآها الجاحظ في ابن المقفع، فقد كان هذا "فارسا جميلا، جوادا أديبا، اذا شاء قول الشعر قاله، متقدما في بلاغة اللسان والقلم والترجمة واختراع المعاني وابتداع السير" [١] . لكنه مع ذلك لم يكن يحسن صناعة الكلام . وهذا ليس بغريب بالنسبة للجاحظ، "فقد يكون الرجل يحسن الصنف والصنفين من العلم، فيظن بنفسه، عند ذلك أنه لا يحمل عقله على شيء الا نفذ به فيه" [٢] . لكنه سرعان ما يفشل في ذلك . فاحسان الصنف والصنفين، لا يعني، بالنسبة لأبي عثمان، الاحسان في كل الأصناف، سواء أكان ذلك في مجال العلوم أو فنون القول وأجناسه . وهو يشير الى ذلك في كتاب البيان والتبيين، حيث يتخذ من ابن المقفع وعبد الحميد الكاتب، مثالين شاهدين على صحة ما يقول، فهما من الأدباء البلغاء الذين لا يحسنون نظم الشعر [٣] . أما في كتاب المعلمين فيضم الى ابن المقفع عالما مشهورا، هو الخليل ابن أحمد الذي "ادعى، بعد احسانه في النحو والعروض، العلم بأوزان الأغاني، فخرج من الجهل الى مقدار لا يبلغه أحد الا بخذلان الله تعالى" [٤] . ونحن لا ندري لم حكم الجاحظ بهذا الحكم على الخليل، فقد ساهم هذا مساهمة لا بأس بها في مجال الموسيقى العربية [٥] .

---

١ ـ نفس المصدر ص ٧٩ ، نلمح بعض هذه الصفات في البيان والتبيين، الجزء الأول ص ٣٠٨، الجزء الثالث ص ٢٩ والجزء الرابع ص ٨٤ .

٢ ـ كتاب المعلمين ص ٧٩ .

٣ ـ البيان والتبيين، الجزء الأول ص ٢٠٧ ـ ٢٠٩ .

٤ ـ كتاب المعلمين، ص ٨٠ .

٥ ـ هنري جورج فارمر، تاريخ الموسيقى العربية، تعريب جرجيس فتح الله المحامي، بيروت، دار الحياة، د.ت. ص ١٧٢، ١٩٨ .

٤ ـ منهاج الجاحظ التربوي التعليمي :

يشير الدكتور شلبي في كتابه القيّم ، تاريخ التربية الاسلامية الى أن عمر بن الخطاب كان من أوائل من وضعوا منهاجا لتعليم الأطفال ، وذلك في كتاب بعث به الى ساكني الأمصار قال فيه : "أما بعد ، فعلموا أولادكم السباحة والفروسية وروّوهم ما سار من المثل وحسن من الشعر" . كما ويذكر الى جانب ذلك قول ابن التوأم "من تمام ما يجب على الاباء من حفظ الأبناء أن يعلموهم الكتاب والحساب والسباحة" .

والجدير بالذكر أن شلبي ينقل كل ذلك عن كتاب البيان والتبيين للجاحظ [1] .

ويضيف شلبي بعد ذلك قائلا : "ويضع الجاحظ منهاجا مفصلا (لتعليم الصبي) هاك بعضه" (وينقل بعض أقوال الجاحظ الواردة في كتاب المعلمين بتصرف) : "ولا تشغل قلب الصبي بالنحو الا بقدر ما يؤديه الى السلامة من فاحش اللحن ، ومن مقدار جهل العوام ، في كتاب ان كتبه ، وشعر ان أنشده وشيء ان وصفه ، وما زاد على ذلك فهو مشغلة عما هو أولى به ، كرواية الخبر الصادق ، والمثل الشاهد ، والمعنى البارع ، ويعرّف بعض الحساب دون الهندسة والمساحة ، ويعلّم كتابة الانشاء بلفظ سهل وعبارة حلوة ، ويحذر التكلف ، ويحثه ـ في قراءة كتب البلغاء ـ أن يستفيد المعاني لا الألفاظ" [2] .

وشلبي ، باقتباسه هذا النص بتصرف ، لم يف منهاج الجاحظ التعليمي والتربوي حقه . فهو لا يشير ـ كما يعترف ـ الا لبعض هذا المنهاج ، في حين كنا ننتظر من هذا الدارس أن يحاول الوقوف على كل عناصره وأن يوضح الأسباب التي جعلت الجاحظ يدخلها دون غيرها في منهاجه ، مع مقارنته مع مناهج مربين مسلمين آخرين كالقابسي والغزالي وغيرهما ، اذ أن هذا الموضوع من شأن علماء التربية ، وسنتركه لهم .

---

١ ـ الدكتور أحمد شلبي ، تاريخ التربية الاسلامية ، ص ٥٥ ، وانظر البيان والتبيين ، الجزء الثاني ، ص ٩٩ .

٢ ـ شلبي ، تاريخ التربية ، ص ٥٥ ـ ٥٦ ، قارن مع كتاب المعلمين ، ص ٦٣ ـ ٧٦ .

لكن لا بدا لنا هنا من أن نشير الى باقي عناصر منهاج الجاحظ التعليمي والتربوي وأن نحاول استخلاص الأهداف التي يرمي اليها هذا الكاتب من وراء هذا المنهاج .فالى جانب ما ذكره الدكتور شلبي، تبرز نصيحة الجاحظ بتهيئة الصبي واعداده للعمل في الأعمال الادارية (في الدواوين الحكومية) . فهو يفضل، في هذا الكتاب، صحبة السلطان على التجارة أو الصيرفة، فيدعو للأولى وينصح بابعاد الصبي عن العمل بالتجارة أو الصيرفة [1] . وهو بهذا يناقض موقفه الذي اتخذه في رسالتي "مدح التجار وذم عمل السلطان"، و "ذم أخلاق الكتّاب" [2] .

---

١ ـ كتاب المعلمين ص ٨١ ـ ٨٦ .

٢ ـ "مدح التجار وذم عمل السلطان"، مجموعة رسائل الجاحظ، ص ١٤١ ـ ١٤٥ أنظر طه الحاجري، الجاحظ، ص ٢٨٤ ـ ٢٨٧، حيث يعتبر أن هذه الرسالة كتبت للدفاع عن ابن الزيات، الذي كان تاجرا، أمام هجوم الشعراء الذين هجّنوه لذلك . وانظر، وديعة طه النجم، الجاحظ، ص ٢٨ ـ ٢٩، ٩٧ ـ ١٠١ حيث تقول، في ختام بحثها للموضوع : "فالجاحظ يحكم حكمين مختلفين قد يبدوان متناقضين، لكنه في الحقيقة حين ينظر الى الأيام السالفة يميل الى أن يمتدح التجارة والعمل فيها، وحين يجيء الى عصره يميل الى الشك في مصير التاجر والتجارة، وباستطاعتنا أن نفهم موقف الجاحظ اذا ما تذكرنا الظروف التي أحاطت بأصحاب الأموال وبالتجار، خاصة في عصره . والارتباط بالسلطان ـ كما يتضح مما يقوله الجاحظ قد لا يقترن بالسلامة، فأفضل منه العمل بالتجارة"، ثم تضيف انه من السّهل أن نفهم تفضيل الجاحظ لتجار قريش على غيرهم، "لأن قريش اجتمعت في أيديهم السلطتان معا، التجارة والسلطان، لكن الأمر أصبح بخلاف ذلك في عصر الجاحظ، حينما أصبحت السلطتان، المال والحكم في أيدي جهتين كانتا في كثير من الأحوال في طرفي نقيض" . ص ١٠٠ ـ ١٠١ .

أما بالنسبة لموقف الجاحظ من الكتّاب، فراجع، رسالة الجاحظ في ذمّ أخلاق الكتّاب، في ثلاث رسائل، تحقيق يوشع فنكل، ص ٣٩ ـ ٥١ . وانظر ترجمتها : "Une charge contre les secretaires attribuee a al-Ǧāḥiẓ", *Hesperis*, 48, 1956, pp. 29-50.

وانظر هاملتون جب، "الأهمية الاجتماعية للشعوبية"، في، دراسات في حضارة الاسلام، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٧٤، ص ٨٤ ـ ٩٥، وانظر وديعة طه النجم، الجاحظ، ص ٨٦ ـ ٩١ . وما كتبه المستشرق لكومت في مقاله عن مقدّمة أدب الكاتب لابن قتيبة : "L'introduction du *kitāb adab al-Kātib* " *Melanges Louis massignon*, vol, 3, Damas , 1957, pp. 46-50.

كما تبرز في نهاية الكتاب نصائح ذات طابع تربوي نفساني محض، يوجهها الجاحظ الى والد الصبي . فعلى والد الصبي أن يتبع طريق الوسط في تربيته، فلا يكره الصبي على الدرس فيبغّض اليه الأدب، ولا يهمله فيعوّده على اللهو، اذ الفساد، كلّ الفساد، في طول الدعة والراحة والفراغ [١] . كما يحذره من ترك ابنه مع قرناء السوء، لأن في مصاحبتهم الفساد والبوار [٢] . هذا، وعليه أن يحرص على اختيار الوقت المناسب للتدريس، حيث لا يكون الصبي مشغولا "بمطالب الرجال وذوى الهمم"، وعند فراغ القلب والشهوة لذلك [٣] . كما عليه أن يجتهد في أن تكون علاقته بابنه علاقة مودة وحب، وأن يحاول أن يكون أحب الى ابنه من أمه اليه . وبما أن ما يثقل به كاهل الصبي من تدريس وتأديب قد يؤدي الى عكس ذلك (الى كراهيته لأبيه وحبه لأمه) فعلى الوالد أن يحرص على "استخراج مكنون محبة ابنه ببر اللسان وبذل المال" دون أن يبالغ في ذلك اذ "لهذا مقدار من جازه أفرط، والافراط سرف، ومن قصر عنه فرط، والمفرط مضياع" [٤] ويؤكد الجاحظ لهذا الوالد مطمئنا له، بأنه لن يخسر لو فعل ذلك، لأنه، في نهاية الأمر، لا يقوم الا باصلاح أمر من سيرثه ويخلفه ويقوم مقامه، لذا فالاهتمام بتقويمه وتهذيبه واجب اذ هو بمثابة الاهتمام بتقويم الذات وتهذيبها . ويمضي الجاحظ متسائلا : هل هناك أفضل من وجود ولد وارث صالح ؟ ألم يقل زكريا "رب لا تذرني فردا وأنت خير الوارثين" ؟ فعلى الوالد أن يحمد الله على انعامه عليه بالولد – الذكر – الذي سيكون "عبرة عين العدو وقرّة عين الصديق"[٥] .

---

١ – كتاب المعلمين، ص ٨٦ . قارن مع ما قاله الجاحظ في رسالته "في الجد والهزل"، رسائل الجاحظ، الجزء الأول، ص ٢٣٤ .

٢ – كتاب المعلمين ص ٨٦ .

٣ – نفس المصدر ص ٨٦ . قارن مع ما اورده الجاحظ في كتاب البيان والتبيين الجزء الأول، ص ٢٧٤ .

٤ – كتاب المعلمين، ص ٨٦ . وقارن ذلك مع كلام الجاحظ في رسالته "في الجد الهزل"، رسائل الجاحظ الجزء الأول، ص ٢٣٤ .

٥ – كتاب المعلمين، ص ٨٧ .

ان هذا المنهاج الذي يضعه الجاحظ أمام المربي والوالد من أقدم المناهج التربوية التعليمية في العالم العربي الاسلامي . وقد لاحظنا أن عناصره، وان لم تتكامل، كتكاملها عند مربين مسلمين متأخرين، تشير الى أن أديبنا كان يتمتع –فيما تمتع به– باحساس تربوي متطور، اكتسبه بلا شك من تجاربه الشخصية، ومن اطلاعه على الثقافات والحضارات الأجنبية المعروفة في عصره وخاصة الفارسية واليونانية منها .

يبرز في منهاج الجاحظ اهتمامه بالأهداف العملية للتعليم والتربية، كاعداد الصبي وتهيئته للعمل في صحبة السلطان، الا أنه لم يغفل أهمية التربية والتعليم في الحفاظ على التراث الفكري والأدبي، وفي تنشئة الصبي تنشئة صالحة، تجعله فردا صالحا في المجتمع مما يتيح له حمل الشعلة بعد أبيه .

ومما يلفت الانتباه في منهاج الجاحظ، انه معد لتربية الذكور، دون الاهتمام بالاناث، واغفال الاناث ليس صدفة، فالجاحظ يورد في كتاب البيان والتبيين – بعد كتاب عمر بن الخطاب وقول ابن التوأم المشار اليهما في بداية هذا الفصل – قولين ينهيان عن تعليم البنات الكتابة والشعر، ويحثان على تحفيظهن القرآن، وخاصة سورة النور [1] . فهو لا يختلف بذلك عن الكثير من المسلمين في ذلك العصر، الذين كانوا يرون أن التعليم للرجال فقط، وان كان بعضهم قد أظهر اهتماما بتعليم الفتيات

---

١ – البيان والتبيين، الجزء الثاني، ص ١٨٠، والدعوة الى تحفيظ البنات سورة النور ترجع الى طابعها التربوي الأخلاقي، فهي تبين حد الزنا وتفظع هذه الفعلة، وتتحدث عن وسائل الوقاية من الجريمة، وتجنب النفوس أسباب الاغراء والغواية، وتحذر من دفع الفتيات الى البغاء، وخلال ذلك تذكر حديث الافك وقصته، كما وتتناول آداب الاستئذان والضيافة في محيط البيوت بين الأقارب والأصدقاء . راجع سيد قطب، في ظلال القرآن، المجلد السادس، الطبعة الثالثة دار احياء التراث العربي ببيروت د.ت، ص ٥٥ – ٥٦ .

ايضا [١] .

٥ــ مبنى كتاب المعلمين ومنهج الجاحظ فيه :

لا يختلف كتاب المعلمين في مبناه العام عن غيره من كتب الجاحظ (أو رسائله) القصيرة . فهو مخصص كله لموضوع واحد، خال ــ على الأقل في الشكل الذي وصلنا منه ــ من الاستطرادات الكثيرة والتنويع في الموضوعات، والخروج من الجد الى الهزل، التي تميز أعمال الجاحظ الكبيرة ــ وخاصة كتاب الحيوان [٢] .

يمكن تقسيم الكتاب الى مقدمة وبابين، يبحث في الأول أهمية المعلمين ويدافع عنهم ويظهر فضائلهم . ويضمّن الثاني منهاجه التعليمي التربوي الذي يقدمه للمعلم والمؤدب والوالد [٣] . وعلى ما يظهر، لم يقسم الجاحظ، نفسه، كتابه الى فصول، مطلقا على كل منها عنوانا خاصا، بل

---

١ ــ فالقابسي ــ مثلا ــ يهتم بتعليم البنات ويطالب بفصلهن أثناء الدرس عن الصبيان . انظر كتاب الأهواني، التعليم في رأى القابسي، ص ٨٦ ــ ٨٧ . وانظر رسالة القابسي الملحقة بهذا الكتاب ص ٢٦٦ ــ ٢٦٧، ٢٨٧ أما الغزالي فقد أهمل موضوع تعليم البنات، "فقد صبّ جميع اهتمامه على تعليم الولد ... فقال مثلا : ان طلب العلم فريضة على كل مسلم، لكنه لم يقل انه فريضة على كل مسلم ومسلمة" . هذا ما تقوله فتحية سليمان في كتابها : المذهب التربوي عند الغزالي، ص ٧٠ . راجع الدكتور أحمد شلبي، تاريخ التربية الاسلامية، ص ٣٢٧ ــ ٣٥٢ حيث يتحدّث عن تعليم المرأة في الاسلام .

٢ ــ قارن مع Krystyna Skrżyńska - Bocheńska, "*les opinions d'al-Ğāḥiẓ sur l'ecrivain et l'oeuvre litteraire*" *Rocznik Orientalistyczny*, vol. 32, 1969 pp. 110-112 حيث تتخذ من رسالة "في ذم أخلاق الكتاب". مثالا على رسائل الجاحظ الخالية من الاستطراد والتنويع، بعكس كتب الأدب الجاحظية حيث يظهر التنويع والاستطرادات .

٣ ــ المقدمة: ص ٥٩، الباب الأول: من ص ٥٩ حتى ص ٧٢ والباب الثاني: من ص ٧٢ حتى نهاية الكتاب .

تركه ـ كعادته في رسائله وكتبه القصيرة ـ بلا تقسيم شكلي ظاهر، وان كانت موضوعاته مرتبة ترتيبا منطقيا، كما يظهر لدارسه. أما ما نجده في المخطوطتين وفي هامش كتاب الكامل من تقسيم، غير منطقي أحيانا، فيعود الى من اختار المقطوعات، عبيد الله بن حسان، الذى حاول أن يفرد لكل ناحية من نواحي الموضوع فصلا خاصا ـ لم يسمه الا في حالتين، الأولى: "فصل في رياضة الصبي"، والثانية: "فصل في ذم اللواط" [١]. وعلى ما يظهر أدّت هذه التسمية، التى لا نعرف مصدرها، أهو الجاحظ نفسه أم المختار، الى سوء فهم بعضهم، قديما وحديثا، فاعتبر بعضهم فصل "في ذم اللواط" دخيلا على كتاب المعلمين ولم يعدّه منه [٢]، وأُلحق فصل "في رياضة الصبي" كاملا برسالة أخرى للجاحظ هي "مدح التجار وذم عمل السلطان"، وهو لا يمت اليها بصلة، لا من قريب ولا من بعيد، ومن المحتمل أن يكون السبب في ذلك تطرق الجاحظ في كلا العملين، الى المقارنة بين التجار وعمال السلطان، مفضلا عمل السلطان على التجارة في كتاب المعلمين، وعاكسا الموقف في "مدح التجار وذم عمل السلطان"، فاختلط الأمر على القائم على طبع مجموعة رسائل الجاحظ، فالحق هذا الفصل بهذه الرسالة. مما دفع بعضهم الى الحديث عن اختلاط العملين، معتبرا اياهما نموذجا "لاضطراب النص" في بعض أعمال الجاحظ [٣].

مقدمة الكتاب، أو ديباجته، لا تختلف في أسلوبها ـ وأحيانا حتى

---

١ ـ كتاب المعلمين ص ٧٣ وص ٧٨.

٢ ـ البغدادي، الفرق بين الفرق، القاهرة ١٩١٠ ص ١٦٢. وانظر مثلا شارل بلات، الجاحظ، ص ٣٦٠ ومقاله في مجلة *Arabica* ص ١٦٤. وبروكلمان، تاريخ الأدب، الجزء الثالث، ص ١١٧ رقم ٣٣. ووديعه طه النجم، الجاحظ، ص ٢٦ ـ ٢٧.

٣ ـ في مدح التجار وذم عمل السلطان، مجموعة رسائل الجاحظ، ص ١٤٣ ـ ١٤٥. وانظر وديعة طه النجم، الجاحظ، ص ٢٧ ـ ٢٩، نود أن نؤكد، مرة أخرى، أن هذا الاضطراب لم يحصل في نص هذه الرسالة الموجود في المخطوطتين الاستنبولية واللندنية ولا في هوامش كتاب الكامل.

في كلماتها ـ والوظيفة التي خصصت لها، عن مقدمات وديباجات رسائل جاحظية أخرى .

فكما هو الأمر في "ذم أخلاق الكتاب" [١] وفي "تفضيل النطق على الصمت" وفي الوكلاء [٢] . وفي "تفضيل البطن على الظهر" [٣]، يخصص الجاحظ ديباجة الكتاب لاعلام القارئ بوجود رأي فاسد، معارض لرأي الجاحظ، وبأن وجود هذا الرأي وانتشاره هو الذي حمله على تأليف هذا الكتاب، ليكشف الباطل ويبطله ويظهر الحقيقة وينصرها . يعني ذلك أن الجاحظ يكتب هذا الكتاب وهو مدرك أن آراءه التي يؤمن بها والتي سيبثها في تضاعيف ما يكتب، تتعارض وآراء بعض معاصريه الذين ينشد اصلاحهم ودعوتهم الى الحق والصواب .

كل ذلك يقوله الجاحظ بأسلوب غير مباشر، فانه يفتتح الكتاب بدعاء خاص الى شخص مجهول ـ من نسج خياله هو ـ كان قد زلّ عن الصواب وفارقه، وحاد عن سبل الحكماء واتبع سبل الجهال والسفهاء، بتأليفه كتابا وتضمينه اياه آراء وأقوالا فاسدة، "كنوك السفهاء وخطل الجهال ومفاحشة الأبذياء"، وهو في كل ذلك واقع تحت تأثير الغضب، يقيم أحكامه على الهوى وعدم الانصاف دون تفكير وتثبت .

والفساد الذي يشير اليه الجاحظ في الكتاب الذي نحن بصدده يتمثل في الموقف السلبي من المعلمين وذمهم . وهذا ما أراد الجاحظ اصلاحه وتبديله بموقف ايجابي تستحقه هذه الطبقة، بتأليفه كتاب المعلمين وبايراد ما أورده في فصوله من مادة .

وتتتابع الفصول بعد المقدمة يخدم الهدف الرئيسي، فالكاتب يدأب

---

١ ـ ثلاث رسائل تحقيق يوشع فنكل، ص ٤٠ .

٢ ـ مجموعة رسائل الجاحظ، ص ١٣٥ ـ ١٣٦، وص ١٥٥ .

٣ ـ حوليات الجامعة التونسية، العدد ١٣، ١٩٧٦، ص ١٨٣ ـ ١٨٤ .

أولا على اظهار أهمية المعلمين في تعليم الكتابة التي لولاها لضاعت كنوز الحكمة والعلم والأدب [١] . ثم يقدم الدلائل الأخرى التي تشير الى اهمية المعلمين والمؤدبين والأدب [٢] . ثم يعرض بعد ذلك منهاجه التربوي الخاص فيما يجب أن يؤخذ به الصبيان، المواد التي يجب أن تدرّس لهم، وما يجب أن يبعد عنهم . ويشمل ذلك نصائح في مجال الأسلوب والتعبير المفضل الذي يجب أن يدرّبوا عليه، حيث يورد الجاحظ موقفه من قضية اللفظ والمعنى [٣] .

وبعد ذلك يحدث اضطراب في الترتيب، فينقطع الحديث عما يجب أن يتعلمه الصبي ليستمر بعد فصلين، في الأول يذم اللواط، وفي الثاني – وهو على ما يظهر جزء من فصل أطول – يستعرض الجاحظ أسماء بعض الأدباء المشهورين الذين عملوا في التعليم والتأديب [٤] .

ولا ندري ما سبب هذا الاضطراب في الترتيب، هل هو نابع من جهل النسّاخ والورّاق وخلطهم للأمور دون تمييز، أم أن الجاحظ نفسه هو السبب في ذلك ؟ على كل حال يتابع المؤلف بعد هذين الفصلين، عرض منهاجه، فيدعو الى اعداد الصبيان الى العمل في خدمة السلطان وابعادهم عن التجارة والصيرفة . وفي نهاية الكتاب يقدم نصائح تربوية يجب على الوالد أن يعمل بها في تربية ابنه لينشأ فردا صالحا [٥] .

---

١ – كتاب المعلمين ص ٥٩ – ٦٣ ويذكر في سياق ذلك أقوالا تمدح العلم والتعلم وحمل الصبيان على الحفظ والاستنباط .

٢ – نفس المصدر ص ٦٣ – ٧٢ .

٣ – نفس المصدر ص ٧٢ – ٧٧ .

٤ – نفس المصدر ص ٧٨ – ٨٠ .

٥ – ص ٨٠ حتى نهاية الكتاب .

فصول من كتاب المعلمين

(النص)

مفتاح للرموز

الأصل = مخطوطة طوبقبو في استنبول .

ل = مخطوطة المتحف البريطاني في لندن .

ك = هوامش كتاب الكامل .

م = مجموعة رسائل الجاحظ .

[ ] = ما بينهما من كلام زيادة نقترحها لكي يستقيم النص .

... = النقاط الثلاث في بداية العبارة اشارة الى ما حذف من كلام النص الأصلي على يد مختار الفصول ، عبيدالله بن حسّان .

ولقد آثرنا ، في تحقيقنا للنصين ، اسقاط الكلمات : "فصل منه" ، "ومنه" ، أو "فصل" ، الواردة في بداية الفصول المختارة وذلك لاعتقادنا بأنها أضيفت من قبل مختار هذه الفصول .

عن تحذيقهم [1]، ولم ترث للمعلّمين من [2] ابطاء الصبيان عمّا يراد بهم، وبعدهم عن صرف القلوب لما يحفظونه ويدرسونه . والمعلّمون أشقى بالصبيان من رعاة الضان وروّاض المهارة [١] . ولو نظرت من جهة النظر، علمت أن النعمة فيهم عظيمة سابغة، والشكر عليها لازم واجب .

... وأجمعوا على أنهم لم يجدوا كلمة أقلّ حرفا، ولا أكثر ريعا، ولا أعمّ نفعا، ولا أحثّ [3] على بيان ولا أدعى الى تبيّن ولا أهجى [4] لمن ترك التفهّم وقصّر في الافهام، من [5] قول أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، رضوان الله عليه :" قيمة كلّ امرئ ما يحسن" [٢] . وقد أحسن من قال :

1 — في الأصل وفي ل و ك : تحديقهم بالدال المهملة، والأفضل ما أثبتناه .

2 — في الأصل وفي ل و ك : عن، والأفضل ما أثبتناه .

3 — في ل : أحس

4 — في الأصل : أهجا، بالألف الطويلة .

5 — قطعت العبارة في ل بعد كلمة الافهام وكتب : "فصل"، كعادة الناسخ كتابة "فصل" في بداية كل مقطوعة مختارة من الكتاب، وكأن الكلام التابع غير مرتبط من ناحية المعنى والتعبير بالجملة السابقة، وهذا خطأ .

١ — جاء في البيان والتبيين، الجزء الأول ص ٢٤٧ : "يقال اظلم من صبي، وأكذب من صبي، وأخرق من صبي" . وانظر كتاب الحيوان، الجزء الثالث ص ٤٧١ .

٢ — أورد الجاحظ هذا القول، فيما أورده من أقوال حكيمة لعلي بن أبي طالب، في كتاب البيان والتبيين، الجزء الثاني ص ٧٧ وكان قد أورده في الجزء الأول ص ٨٣، كنموذج لأحسن الكلام الذي يغنيك قليله عن كثيره . وانظر : نهج البلاغة، مجموع ما اختاره الشريف الرضي من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، شرح الامام محمد عبده، منشورات المكتبة الأهلية بيروت د.ت . الجزء الرابع ص ١٨ . والرواية هنا : "قيمة كل امرئ ما يحسنه" . وكذلك في ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، دار الحياة، بيروت ١٩٦٤ الجزء الخامس، ص ٣٦٠ حيث نلاحظ من شرح الكاتب لهذا القول، انه فهم، كما فهم الجاحظ في كتاب المعلمين، ان علي ينوه فيه بفضل العلم والتعلم . ويبدو أن ابن أبي الحديد، الذي يعتبر الجاحظ من شيوخه ويقتبس عن كتبه المختلفة الشيء الكثير، كان يجهل وجود كتاب المعلمين .

"مذاكرة الرجال تلقيح لألبابها" .

وكرهت الحكماء الرؤساء [١]، أصحاب الاستباط [1] والتفكير، جودة الحفظ لمكان الاتكال [2] عليه، واغفال العقل من التمييز، حتى قالوا : "الحفظ عذق الذهن" . ولأن مستعمل الحفظ لا يكون الا مقلدا، والاستنباط هو الذي يفضي بصاحبه الى برد اليقين وعز الثقة .

والقضية الصحيحة، والحكم المحمود : انه متى أدام التحفظ [3] أضر ذلك بالاستنباط، ومتى أدام الاستنباط، أضر ذلك بالحفظ، وان كان التحفظ [4] أشرف منزلة منه . ومتى أهمل النظر لم تسرع [5] اليه المعاني ومتى أهمل التحفظ [6]، لم تعلق [7] بقلبه، وقل مكثها في صدره [٢] . وطبيعة الحفظ غير طبيعة الاستنباط . والذي [8] يعالجان به ويستعينان [به] متفق عليه [9] وهو [10] فراغ القلب للشيء والشهوة له، وبهما يكون التمام وتظهر [11]

1 – وردت في الأصل مهملة، بدون نقط .
2 – في ل : اتكال .   3 – في ك : الحفظ .   4 – في ك : الحفظ .
5 – في ل : يسرع .   6 – في ك : الحفظ .
7 – في الأصل وفي ل و ك : يعلق، والأصح ما أثبتناه، لأن الضمير يعود على المعاني .
8 – في الأصل وفي ل : واللذين وفي ك واللذان .
9 – حدث اضطراب في هذه الجملة في النسخ الثلاث فهي هناك واللذين يعالجان به ويستعينان متفق عليه متفق. والأفضل ما أثبتناه .
10 – في الأصل : وفي ك : ألا وهو .   11 – في الأصل وفي ل : يظهر .

١ – يعتقد المستشرق ميرشفلد ان الجاحظ يلمح بذلك الى الكندي، فيلسوف العرب، راجع ص ٢٠٣ من مقاله المشار اليه آنفا .
٢ – قارن مع ما قاله الجاحظ في البيان والتبيين الجزء الأول ص ٢٧٣–٢٧٤ عن فساد الازدياد في التحفظ . وقارن مع أقوال ابن المقفع الأدب الصغير، المجموعة الكاملة، (لأعمال ابن المقفع) منشورات دار البيان، بيروت ١٩٧٠ (الطبعة الرابعة) ص ٣٦ .

الفضيلة . ولصاحب التحفّظ[1] [ولصاحب الاستنباط][2] سبب آخر يتفقان عليه وهو الموضع والوقت ./ فأما المواضع، فأيّها يختاران اذا أرادا[3] ذلك ٦/و الغرف[4] دون الشغل[5] . وأما الساعات، فالأسحار دون سائر الأوقات، لأن ذلك الوقت قبل وقت الاشتغال[6]، وتعقب تمام الراحة والجمام[7] [1/] ، لأن للجمام[8] مقدارا هو المصلحة، كما أن للكدّ مقدارا هو المصلحة .

... ويستدل أيضا بوصايا الملوك للمؤدبين في أبنائهم، وفي تقويم أحداثهم، على أنّهم قد قلّدوهم أمورهم وضميرهم بلوغ التمام في تأديبهم . وما قلّدوهم ذلك الا بعد أن ارتفع اليهم في الخبر[9] حالهم في الأدب، وبعد أن كشفهم الامتحان وقاموا على الخلاص[٢] .

وأنت، حفظك الله، لو استقصيت عدد النحويين والعروضيين والفرضيين[10]

---

1 — في ك : الحفظ .　　2 — زيادة يقتضيها السياق .

3 — حدث اضطراب في جميع النسخ. فالجملة في الأصل وفي ل : فأما الموضع فأيهما يختاران اذا أرادا . وفي ك : فأما الموضع فأيهما يختار اذا أرادا .

4 — في ك : السفرق .

5 — في الأصل وفي ل : السّفل وهذا تحريف لما أثبتناه عن ك .

6 — في الأصل : الاشعال، بالعين المهملة .

7 — في جميع النسخ : الحمام بالحاء المهملة .

8 — في جميع النسخ : للحمام، بالحاء المهملة .

9 — في الأصل : الحر، مهملة وفي ل و ك : الحنو والأفضل ما أثبتناه .

10 — في الأصل : الفراضيين وما أثبتناه عن ل و ك .

---

١ — قارن مع البيان والتبيين، الجزء الأول، ص ٢٧٤ : "ولا تكدوا هذه القلوب ولا تهملوها، فخير الفكر ما كان عقب الجمام، ومن أكره بصره غشي" . وقارن ذلك مع ابن خلدون، المقدمة، ص ٥٧٤ .

٢ — انظر بعض النماذج لهذه الوصايا في البيان والتبيين، الجزء الثاني ص ٧٣، ١٧٩ — ١٨٠، وابن قتيبة، عيون الأخبار، طبعة دار الكتب، القاهرة ١٩٦٣، الجزء الثاني ص ١٦٦ — ١٦٧، وابراهيم بن محمد البيهقي، المحاسن والمساوئ، ص ٥٧٥ — ٥٧٧ .

والحسّاب والخطّاطين، لوجدت أكثرهم مؤدّب كبار ومعلّم صغار . فكم تظن [1] أنّا وجدنا منهم من الرواة والقضاة، والحكماء والولاة من المناكر والدهاة [2]، ومن الحماة والكفاة [3]، ومن القادة والذادة، ومن الرؤساء والسادة، ومن كبار الكتاب والشعراء، والوزراء والأدباء، ومن أصحاب الرسائل والخطابة المذكورين [4] بجميع أصناف البلاغة، ومن الفرسان وأصحاب الطّعان، ومن نديم كريم، وعالم حكيم، ومن مليح ظريف، ومن شاب عفيف [1] .

ولا تعجل [5] بالقضية حتى تستوفي آخر الكتاب، وتبلغ أقصى العذر . فانك ان كنت تعمّدت تذمّمت [6] . وان كنت جهلت تعلّمت . وما أظن من أحسن بك الظن الاّ وقد خالف الحزم .

... قال المعلم : وجدنا لكلّ [7] صنف من جميع ما بالناس الى تعلّمه حاجة معلّمين [8]، كمعلمي [9] الكتاب، والحساب والفرائض، والقرآن،

---

1 — في الأصل، تلن (!) وما أثبتناه، عن ل و ك .
2 — في الأصل : الدهاة بلا حرف عطف . وما أثبتناه، عن ل و ك .
3 — في الأصل : الحماية والكفاية، وما أثبتناه، عن ل و ك .
4 — في ك : والمذكورين .
5 — في الأصل : تستعجل، وما أثبتناه، عن ل و ك .
6 — في ل : تزممت .
7 — في جميع النسخ : كل
8 — في ك : المعلمين .
9 — في ل : كمعلم .

---

١ — انظر البيان والتبيين، الجزء الأول ص ٢٥١ — ٢٥٢ حيث يورد الجاحظ أسماء بعض المعلمين المعروفين الذين كانوا من رواة الحديث والحفاظ والمتكلمين، والأشراف (السادة) والأدباء البلغاء . وانظر قائمة المعلمين التي يوردها ابن قتيبة في كتابه المعارف، تحقيق، ثروت عكاشة، القاهرة ١٩٦٠ ص ٥٤٧ — ٥٤٩ .

والنحو، والعروض، والأشعار، والأخبار، والاثار، ووجدنا الأوائل كانوا يتخذون لأبنائهم من يعلّمهم الكتاب والحساب، ثم لعب الصوالجة والرمي بالشبوك [1] والمجثّمة والطير الخاطف [١] ورمي البنجكان [2] والبنادق [3/٢]، وقبل ذلك الدّبّوق [4/٣]

---

1 – في جميع النسخ الشبوك، وفي هامش ل، وربما بخط كريمر : الشبوك .

2 – في جميع النسخ : البنجكاز، والأفضل ما أثبتناه عن البيان والتبيين، الجزء الثالث ص ١٨ .

3 – سقطت من ل .

4 – في ل : الدبوت ، وفي هامشها وبخط يختلف عن خط الناسخ الدّبّوق . وربما كانت الدّبّوس، التي يذكرها الجاحظ في البيان والتّبيين، الجزء الثالث ص ٥٨ .

---

١ – الرمي بالشبوك، قد يعني ذلك الاصطياد بواسطة الشباك . جاء في لسان العرب مادة جثم، "المجثّمة : المحبوسة وهي كل حيوان ينصب ويرمي ويقتل، وقال أبو عبيده، وهي لا تكون الا من الطير والأرانب واشباهها . وقيل المجثّمة هي الطير أو الأرانب الواقعة في الشباك، وفي الحديث نهى الرسول عن المجثّمة والخطفة، وهي ما اختطف من أعضاء الحيوان أو الطير المصطاد، لأن مثل هذا العضو يعتبر ميت لا يحل اكله" . والطير الخاطف : ربما قصد هنا الصيد بواسطة الطيور .

٢ – رمي البنجكان، ذكر الجاحظ البنجكان في البيان والتّبيين بين الأمور التي تدعي الشعوبية ان العرب جهلتها . وفي الهامش يقول عبد السلام هارون، محقق الكتاب، "جاء في الطبرى ٧ : ٢٧ : فقال لهم بالفارسية : صكوهم بالفنجقان، أي بخمس نشابات في رمية واحدة" . البيان والتّبيين، الجزء الثالث ص ١٨ . والبنادق جمع بندق والجاحظ يقول : والعصا "اذا كانت قناة فكل شقة منها قوس بندق، فان فرقت الشقة صارت سهاما". البيان والتّبيين، الجزء الثالث، ص ٥٠ وفي ص ٩٣ يقول : "وكل قوس بندق فانما جيء بقناتها من بروض . ومدح ببريها وصنعتها عصفور القوّاس" ثم يروى في الصفحة التالية أبيات شعر استعملت فيها كلمة بنادق، جمع بندق، ويفهم من هذه الأبيات أن الفتية كانوا يتصيدون الطير بواسطة البنادق .

٣ – الدّبّوق : شيء يلتزق كالغراء يصاد به الطير . وقيل هي لعبة يلعب بها الصبيان معروفة، وربما كانت الدّبّوس. والدّبّوس، كما يقول الجاحظ في البيان والتّبيين، الجزء الثالث ص ٥٨. "شبيه بالعصا التي في راسها عجرة" . والعجرة هي العقدة .

والنفح في الشطاب 1/1 وبعد ذلك الفروسية واللعب بالرماح والسيوف، ٦٦ظ/ والمشاولة[٢]، والمنازلة، والمطاردة، ثم النجوم / واللحون، والطب ثم الهندسة [2]، وتعلّم النرد والشطرنج، وضرب الدّفوف وضرب الأوتار، والوقع والنفخ في أصناف المزامير . ويأمرون بتعليم أبناء الرعيّة الفلاحة والتجارة، والبنيان والصياغة [3] والخياطة والسرد[٣] والصبغ وأنواع الحياكة .. نعم، حتى علّموا البلابل وأصناف الطير الألحان . وناسا يعلمون القرود والدببة والكلاب والظباء المكّية والببغاء والسقر[4] وغراب البين . ويعلّمون الابل والخيل

---

1 — في الأصل : النفح في الشبطار وفي ل و ك : النفخ في الشبطار، وهذا على ما يبدو، تحريف لكلمة الشطاب . والنفخ في الشطاب يعني : الضرب الخفيف بالسيوف . أنظر الشرح أدناه .

2 — في ل و ك : والهندسة بابدال حرف العطف ثم بالواو .

3 — في الأصل : الصناعة، والروايتان صحيحتان .

4 — في الأصل : والسقا وفي ل : والسقل، الحرف بين السين واللام غير واضح هل هو عين أم فاء أم قاف . أما في ك فهو عين : والسعل، وكلها لا تصلح لسياق الكلام، فالحديث عن أحد أنواع الطيور، وربما كان ذلك السقر، وهذا ما فضلنا اثباته .

---

١ — النفح في الشطاب، يعني الضرب الخفيف بالسيوف . فكما هو معروف الشّطبة (على وزن فعلة، بكسر الفاء)، تعني السيف . والجاحظ يجمعها هنا على شطاب، على وزن فعال، بكسر الفاء . ولم نجد هذه الكلمة على هذا الجمع في مصادر أخرى، لكن ما نقترحه يلائم سياق الكلام في العبارة، نقول هذا مع شيء من التحفظ، فربما كانت كلمة شيطار تحريفا عن كلمة أخرى، بل ربما كان لها معنى يخفى علينا، لأننا لم نجدها في القواميس، ولا في المراجع الأدبية واللغويّة الأخرى، التي عدنا اليها .

٢ — ذكر الجاحظ هذا الاصطلاح في البيان والتبيين، الجزء الثالث ص ٦ وورد في مطاعن الشعوبية على العرب لأنهم يرجزون ساعة المشاولة . ويفسرها عبد السلام هارون قائلا : المشاولة : ان يتناول بعضهم بعضا عند القتال بالرماح .

٣ — السرد : نسج الدروع، انظر الثعالبي، فقه اللغة، تحقيق السقا والأبياري وشلبي، القاهرة ١٩٣٨، ص ٢٤٨، وانظر البيان والتّبيين، الجزء الأول ص ١٤٢ والثالث ص ١١١ .

والبغال والحمير والفيلة أصناف المشي، وأجناس الحضر ١/1 . ويعلّمون الشواهين والصقور والبوازي 2 والفهود والكلاب وعناق الأرض، الصّيد ٢ . ويعلّمون الدواب الطحن والبخاتي الجمز 3/٣، حتى يروضوا 4 الهملاج والعناق بالتخليع وغير التخليع، وبالموضوع والأوسط والمرفوع ٤ . ووجدنا للأشياء

1 — في ك : الخطو .
2 — في الأصل : البرازين، وفي ل و ك : البوازين، والأفضل ما أثبتناه .
3 — في ك : الهمز .
4 — في الأصل : يروضون .

١ — نوع من انواع العدو .
٢ — عناق الأرض : دويبة، اصغر من الفهد، طويلة الظهر، تصيد كلّ شيء، حتى الطير، ويقول الجاحظ في وصفها : دآبة نحو الكلب الصغير، تصيد صيدا حسنا، وربما واثب الأسد فعقره، وهو احسن صيدا من الكلب، ويقال له التفّة" . الحيوان، الجزء السادس ص ٣٥٢ . وأجناس الحضر التي ذكرت في النص، هي أنواع من عدو الدواب، والحضر : ارتفاع الفرس في عدوه، وهي مضمومة الحاء . يتحدث الجاحظ في الحيوان عن ترويض وتاديب بعض الحيوانات المذكورة في النص اعلاه . انظر الحيوان، الجزء الثالث ص ٤٧ — ٤٨ والسادس ص ٣٥٢ والسابع ص ٢١٨، ٢٥٢ — ٢٥٣ .
٣ — البخاتي : جمال طوال الأعناق، مفردها بختيّ . وانظر البيان والتّبيين، الجزء الثالث ص ٤٩ حيث يتحدث عن المهار، وهو العود الذى يدخل في انف البختيّ، اى الناقة . والجمز : عدو دون الحضر الشديد .
٤ — الهملاج : البرذون، يذكرها الجاحظ في البيان والتّبيين الجزء الثالث ص ١١٤، بصيغة الجمع : "الهماليج" . والعناق : الأنثى من أولادالمعز . التخليع : نوع من المشي، التفكك بالمشي، وفي فقه اللغة للثعالبي، ص ١٩٧ التخلّع : مشية المجنون في تمايله يمنة ويسرة . وفي البيان والتبيين : الجزء الثاني ص ١٥ يقول الجاحظ : "ولم يحوّلوا المعانيق هماليج الا بعد طول التخليع ..." . يقول ابن خلدون، متحدثا عن تقدم اهل مصر في صناعة التعليم : "انهم يعلّمون الحمر الانسية والحيوانات العجم من الماشي والطائر مفردات من الكلام والأفعال يستغرب ندورها ويعجز اهل المغرب عن فهمها"، المقدمة، ص ٤٣٣ . الموضوع والمرفوع : انواع سير، انظر البيان والتبيين الجزء الأول ص ٢٩٨ حيث يفسر الجاحظ كلمة ايضاع بالاسراع ويقول ان الايضاع مثل الوجيق . وانظر فقه اللغة للثعالبي، ص ٢٠٢ حيث يقول ان الموضوع هو سير كالرقصان . والمرفوع هو السير المرتفع عن الهملجة . اما الأوسط فانه لا يذكرها . والظاهر من سياق الكلام انها تعني هي ايضا، نوعا من انواع السير .

كلها معلّمين، وانّما قيل للانسان العالم الصغير، سليل العالم الكبير، لأنّ في الانسان من جميع طبائع الحيوان أشكالا من ختل[1] الذئب، وروغان[2] الثعلب، ووثوب الأسد، وحقد البعير، وهداية القطاة. وهذا كثير، وهذا بابه ...[3] ولأنه يحكي كلّ صوت بفيه، ويصوّر كلّ صورة بيده[١]. ثم فضّله الله تعالى بالمنطق والرويّة[4]، وامكان التصرف[٢].

وعلى أنا لا نعلم أن لأحد من جميع أصناف المعلمين لجميع هذه الأصناف كفضيلة المعلّم من الناس الأحداث [أشياء][5] هي من المنطق المنثور، ككلام الاحتجاج والصفات والمناقلات[٣] من المسائل والجوابات في

---

1 — في ل : حيل، وفي الحيوان : عدر الذئب، الجزء الأول ص ٧٣.

2 — في ل : زوغان.

3 — سقط بعض الكلام، على ما يبدو، وربما كانت الجملة في الأصل "وهذا بابه في كتاب الحويان". والجاحظ يتحدث عن ذلك بالفعل في كتاب الحيوان. أنظر ملاحظة ١ في الهامش الثاني.

4 — في ل وك : الرؤية.

5 — اضافة يقتضيها السياق. أما طابع المختارات على هامش الكامل ـ ك ـ فانه حذف الكلمتين : "هي من"، فأصبح النص هناك : "كمعلم الناس الأحداث المنطق المنثور"، وبهذا يستقيم المعنى أيضا.

---

١ — وردت هذه العبارة، باختلافات بسيطة، في حديث أطول، ذكر فيه الجاحظ الأسباب التي جعلت الأوائل يطلقون على الانسان اصطلاح "العالم الصغير سليل العالم الكبير". أنظر الحيوان الجزء الأول ص ٢١٢ — ٢١٣. كما وورد جزء منها في البيان والتّبيين الجزء الأول ص ٧٢، في مجال حديث الجاحظ عن الحكاية والحاكية.

٢ — يشير الجاحظ الى ذلك ويؤكده مرارا في كتاب الحيوان، انظر مثلا الجزء الأول ص ٣١ — ٣٢، ٣٦، الجزء الثاني ص ١٤٥ — ١٤٧ الجزء الخامس، ص ٥٤٢ — ٥٤٣ والسابع ص ١١٠٩.

٣ — ورد في البيان والتّبيين الجزء الأول ص ٢٧٢ : "وكانوا يروّون صبيانهم الارجاز ويعلّمونهم المناقلات ...".

جميع الخلافات [1] ، ومن [2] الموزون من [3] القصائد والأرجاز من المزدوج والأسجاع [4] ، مع الكتاب والحساب وما شاكل ذلك ووافقه ، واتصل به وذهب مذهبه .

وقالوا : انما اشتق اسم المعلّم من العلم ، واسم المؤدب من الأدب . وقد علمنا أن العلم هو الأصل ، والأدب هو الفرع . والأدب اما خلق ، واما رواية . وقد أطلقوا اسم المؤدب على العموم . والعلم أصل لكلّ خير ، وبه ينفصل الكرم من اللؤم ، والحلال من الحرام والفضل من الموازنة بين أفضل الخيرين والمقابلة بين أنقص الشرين [١] . فلم يعرضوا لأحد من هذه الأصناف التي [5] اتخذ الناس لها المعلّمين ، من جميع أنواع الحق والباطل ، والسرف والاقتصاد ، والجدّ والهزل ، الا هؤلاء الذين لا يعلّمون الا الكتاب والحساب والشعر/ والنحو ، والفرائض /٧ و والعروض ، وما في [6] السماء من نجوم الاهتداء ، والأنواء والسعود ، وأسماء الأيام والشهور ، والمناقلات ، ويمنعهم [7] العرامة [8] [٢/] ، ويأخذهم بالصلاة في الجماعة ، ويدرّسهم القرآن ، ويهذب [9] ألسنتهم برواية القصيد والارجاز ، ويعاقب

---

1 — في جميع النسخ : العلامات .
2 — في جميع النسخ : بين .
3 — في ل : عن .
4 — في ل و ك : الاسماع .
5 — في جميع النسخ : الذي . والأفضل ما أثبتناه .
6 — سقطت من ل ، وفي ك : بالسماء .
7 — هكذا في جميع النسخ ، والضمير تحول من ضمير الغائبين الى ضمير الغائب المفرد .
8 — في ل : الغرامة ، بالغين المعجمة .
9 — في الأصل : يمرن . وفي ل : يهذب . وبهامش الورقة ، وبخط يختلف عن خط الناسخ : يهذب . وفي ك : يهذبون .

---

١ — قارن ذلك ما ما جاء في الحيوان الجزء الثاني ص ١٤٥ .

٢ — جاء في كتاب المحاسن والمساوىء للبيهقي في باب ذم المعلمين : "الله جل وعزّ اعان على عرامة الصبيان برقاعة المعلمين" . والعرامة هي : الفساد أو المرح المقترن بالشراسة .

على التهاون ويصرب على الفرار ¹ ، وباخذهم بالمناقلة ، والمنافلة أسباب المنافسة لحقه 2 ، بخلاف هده السيرة ، وبصد هده المعاملة ¹ .

... وقد ذهب قوم الى أن الأدب حرف 3 وطلبه شوءم . وأنشد قول الشاعر ٢ .

ما ازددت في أدبي حرفا أسرّ به الا تزيّدت حرفا تحته شـوم

1 – في ل : الصرار ، وبها أيضا يستقيم المعنى .

2 – في الأصل : لحقه ، الحرف الأخير غير واضح ، هل هو هاء أم دال . والأفضل اعتباره هاء اذ بها يكون للكلمة معنى يلائم النص . وفي ل : بتحقير وهنا أيضا الكلمة غير واضحة هل هي بتحقير أم بحقير . والأفضل قراءتها بتحقير اذ بها قد يستقيم النص . وفي ك : لحقر .

١ – اضطربت هذه العبارة ، لطولها ، لكن مع هذا فمعناها العام بيّن ، فالجاحظ يريد أن يقول ان الذمّ والطعن وجّه الى تلك الفئة من المعلمين ، الدائبة على تعليم الأمور الأساسية التي يهذّب بها الصبيان فجاءت معاملتهم بهذه المعاملة السيئة بخلاف سيرتهم الحميدة مع الصبيان وبضد معاملتهم الحسنة لهم . اما اذا ما اعتمدنا رواية ل ، حيث نجد بعد كلمة المنافسة المصدر "بتحقير" ، فيمكننا اعتبار هذا المصدر متعلقا بالفعل الذى افتتحت به هذه العبارة وهو : "فلم يعرضوا" . فيكون معنى العبارة عندما ان الذامين لم يعرضوا بتحقير لمعلمي أى صنف من الأصناف التي يتعلمها الناس ، من جميع أنواع الحق والباطل ، والسرف والاقتصاد ، والجد والهزل ، الا لمعلمي الكتاب والحساب والشعر والنحو ... الخ (وكل ذلك) بخلاف هذه السيرة وبضد هذه المعاملة (بخلاف سيرة المعلمين مع الصبيان ومعاملتهم لهم) .

٢ – نسب هذان البيتان في المحاسن والمساوىء ، للخليل بن أحمد ، الجزء الثاني ص ١٥٥ . والثعالبي في كتابه : اللطائف والظرائف ، ص ٢٤ ، ينسبهما للحمدوني ثم يستدرك قائلا : "ويروى للخليل بن احمد ، وفي التمثيل والمحاضرة ، تحقيق عبد الفتاح الحلو ، القاهرة ١٩٦١ ، ينسب البيت الثاني للحمدوني اما صاحب زهر الاداب فيوردهما باسم ابي يعقوب الخريمي (أو الخزيمي كما ورد هناك) . زهر الاداب الجزء الثاني ص ٢٢٤ . أما ابن قتيبة فانه ، كالجاحظ ، لا يذكر اسم الشاعر ، لكن روايته للبيتين مطابقة تمام المطابقة لرواية كتاب المعلمين ولرواية المحاسن والمساوىء . عيون الأخبار ، الجزء الثاني ص ١٢٤ . اما رواية زهر الاداب فتختلف في صدر البيت الثاني فهو هناك : "كذاك من يدّعي حذقا بصنعته" . وجدير بالذكر ان هذين البيتين ذكرا ، في جميع هذه المصادر ، في مجال ذم الأدب ، ومما يلفت الانتباه أن في ثلاثة من هذه المصادر ، كتاب المعلمين وعيون الأخبار وزهر الاداب ، ورد ذكر الخريمي في هذا المجال .

انّ المقدّم في حذق[1] بصنعته أنّى توجّه فيها فهو محـروم

ولم نر شاعرا نال بشعره الرغائب، ولا أديبا بلغ بأدبه المراتب، ذكر يمن[2] الأدب ولا بركة قول الشعر، فانما حرم الواحد منهما[1/3]. والرجل الشاذ[4] ذكر حرف الأدب وشوءم الشعر، وان كان عدد من نال الرّغائب أكثر من عدد من أخفق. ومهما عيرنا من كان في هذه الصفة[5]، فانا غير عايرين لأبي يعقوب الخريمي[6]، لأنه نال بالشعر وأدرك بالأدب[٢]. وليس الذي يحمل[7] أكثر الناس على هذا القول الا وجدان المعاني والألفاظ ،

---

1 – في ل : حـرق .
2 – في ل : بمـن .
3 – في جميع النسخ، منهم .
4 – في ل : الشـاد .
5 – في ك : الصنعـة .
6 – في ل و ك: الخزيمي، بالزاي المعجمة .
7 – في ل : يجعل .

---

١ – يشير الكاتب بهذا الى حقيقة عدم اتقان الانسان احيانا للصناعتين، النثر (الأدب) والشعر . وقد اشار الى ذلك في البيان والتبيين، متخذا من ابن المقفع وعبد الحميد الأكبر مثلين يشهدان على صحة ما يقول . الجزء الأول ص ٢٠٧ – ٢١٠ . ويعبر ابن خلدون عن ذات الفكرة في المقدمة، ص ٥٦٨ – ٥٦٩ .

٢ – وهو ابو يعقوب، اسحق بن حسان بن قوهى الخريمي، اصله من خراسان، كان متصلا بابن خريم بن عمرو المري، فنسب اليه . كان اعورا، ثم عمي عندما اسن، وكان على علاقة بالجاحظ، الذي ينعته احيانا في البيان والتبيين بالأعور، واحيانا يذكر اسمه كاملا، واحيانا كنيته او نسبته. البيان والتبيين، الجزء الأول ص ١١٥، ١١٧، ١٣١، ٢٠٩، ٢٢٤، ٣٨١، الجزء الثاني ص ٧٣، ٣٥٢، ٣٥٦، والجزء الثالث ص ١٦٢، ٣٢٠، ٣٢٥، ٣٥٢ . ويبدو من خلال ما جاء في البيان والتبيين أن الجاحظ كان يعدّه في الأدباء الشعراء، وهذا يتّفق مع ما جاء في كتاب المعلمين . وانظر ابن قتيبة، الشعر والشعراء، طبعة ليدن، ١٩٠٢، ص ٥٤٢ – ٥٤٦ . وابو الفرج الأصفهاني، كتاب الأغاني، طبعة دار الكتب ١٩٣٥، الجزء السادس ص ٤٣ – ٨٤، وانظر بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، الجزء الثاني ص ١٩ – ٢٠ .

فانهم يكرهون أن يصبعوا بابا من اظهار الظرف وفضل البيان [1] وهم عليه قادرون .

... وقد قالوا : الصبي عن الصبي أفهم ، وبه أشكل . وكذلك الغافل والغافل ، والأحمق والأحمق ، والغبي والغبي ، والمرأة والمرأة . قال الله تبارك وتعالى : "ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا" [١] ، لأن الناس عن الناس أفهم واليهم أسكن [٢] .

فمما أعان الله ، تعالى ، به الصبيان أن قرّب طبائعهم ومقادير عقولهم من مقادير عقول العالمين . وسمع الحجّاج ، وهو يسير ، كلام امرأة من دار قوم ، فيه تخليط وهذيان فقال : مجنونة ، أو ترقص صبيّا [٣] . ألا ترى أن أبلغ الناس لسانا ، وأجودهم بيانا ، وأدقهم فطنة ، وأبعدهم رويّة [2] ، لو ناطق طفلا أو ناغى صبيّا ، لتوخى حكاية مقادير عقول الصبيان ، والشبه [3] لمخارج كلامهم . وكان لا يجد بدا من أن ينصرف [4] عن كلما فضله الله به من المعرفة [5] الشريفة والألفاظ الكريمة ؟ وكذلك تكون مشاكلة [6] بين المثقفين في الصناعات [٤] .

---

1 – في ل : اللسان ، وفي ك الشأن . 2 – في ل : روءيـــة .

3 – في الأصل : والسبه بالسين المهملة .

4 – في ل : يصـرف . 5 – في ل و ك : بالمعرفة .

6 – في ك : تكون المشاكلة .

---

١ – القرآن الكريم ، سورة الأنعام ، آية ٩ .

٢ – في الحيوان ، الجزء الأول ص ٤٥ : "والانسان عن الانسان افهم واليه أسكن" .

٣ – جاء في البيان والتبيين ، الجزء الثالث ص ٢٢٤ : "سمع الحجاج امرأة من خلف حائط تناغي طفلا . فقال مجنونة أو أم صبيّ" .

٤ – يتسق هذا مع مذهب الجاحظ "لكل مقام مقال" . انظر البيان والتبيين الجزء الأول ص ١٣٦ – ١٣٧ .

/٧ ظ

٠٠٢ في رياضة الصبي [١] : وأما النحو، فلا تشغل قلبه [1] منه الا بقدر ما يؤديه الى السلامة من فاحش اللحن، ومن مقدار جهل العوام في كتاب ان [2] كتبه، وشعر ان أنشده، وشيء ان وصفه، وما زاد على ذلك فهو مشغلة عما هو أولى به. ومذهل عما هو أرد عليه منه، من رواية المثل الشاهد، والخبر الصادق، والتعبير [3] البارع . وانما يرغب في بلوغ غايته ومجاوزة الاقتصاد [4] فيه من لا يحتاج الى تعرّف جسيمات الأمور والاستنباط لغوامض التدبير [5]، ولمصالح العباد والبلاد والعلم بالأركان، والقطب الذي [6] تدور عليه الرحا، ومن ليس له حظ غيره ولا معاش سواه . وعويص [7] النحو لا يجري في المعاملات ولا يضطر اليه شيء . فمن [8] الرأي أن يصمد [9] به في حساب العقد [٢] دون

1 — في الأصل قلبهمّ — ويبدو أن المدّة فوق الميم تعني أنها زائدة يجب حذفها . وفي ل : قلبهم . والأصح ما أثبتناه من ك ومن م .

2 — سقطت من الأصل ومن ك ومن م .

3 — في الأصل وفي ل : الفقر، والرواية التي نثبتها من ك و م . أما أحمد شلبي فانه يكتب : "المعنى". ولا ندري اذا كان في ذلك معتمدا على مخطوط الموصل أو أنه يقترح هذا لأن ما ورد في النسخة اللندنية لا يستقيم المعنى به. أحمد شلبي تاريخ التربية، ص ٥٦ .

4 — في م : الاقتصار، وهذا فاسد .

5 — في ل وك وم : التدبر .

6 — في ل و م : التي .

7 — في ل : غوص .

8 — في م : أفمن .

9 — في ك : يعتمد، وفي م : يعمد .

١ — ورد هذا الفصل كاملا في رسالة "مدح التجار وذم عمل السلطان"، المطبوعة ضمن "مجموعة رسائل الجاحظ"، ص ١٤٢ — ١٤٤ . انظر التصدير ص ١٧ .

٢ — يعد الجاحظ حساب العقد احد اقسام البيان الخمسة . انظر الحيوان، الجزء الأول ص ٣٢، ٤٥ — ٥٠ والبيان والتبيين، الجزء الأول ص ٧٦، ٨٠ "وحساب العقد، ضرب من الحساب يكون باصابع اليد، ويقال له حساب اليد ... وقد ألفت فيه كتب وأراجيز. انظر الخزانة الجزء الثالث ص ١٤٧". هذا ما قاله عبد السلام هارون في هامش البيان والتبيين الجزء الأول ص ٧٦ . وقد ألّف المستشرق شارل بلات كتابا في هذا الموضوع :

Pellat, *Textes arabes relatifs a la dactylonomie*, Maisonneuve et Larose, Paris, 1977.

وهو يورد هذا النص من كتاب المعلمين في ص ٢٩ ويترجمه ص ٣٨ .

حساب الهند، ودون الهندسة وعويص[1] ما يدخل في المساحة، وعليك في ذلك بما يحتاج اليه كفاة السلطان[2]، وكتاب الدواوين [١] . وأنا أقول ان البلوغ في معرفة الحساب الذى يدور عليه العمل والتوقي[3] فيه، والسبب اليه، أردّ عليه من البلوغ في صناعة المحررين ورؤوس الخطاطين . لأن في أدنى طبقات الخط، مع صحة الهجاء، بلاغا، وليس كذلك حال الحساب [٢] .

ثم خذه[4] بتعريف حجج الكتّاب، وتخلّصهم باللفظ السهل، القريب المأخذ، الى المعنى الغامض[5] [٣] . وأذقه حلاوة الاختصار، وراحة الكفاية، وحذّره التكلّف واستكراه[6] العبارة، فان أكرم ذلك كله، ما كان افهاما للسامع، ولا يحوج الى التأويل والتعقيب، ويكون مقصورا على معناه لا[7] مقصّرا عنه[8]، ولا فاضلا عليه . فاختر من المعاني ما لم يكن مستورا باللفظ المتعقد

---

1 – في ل : غويص، بالغين المعجمة .
2 – في الأصل : السلطن .
3 – في ل : التوقي، وفي م : التوفي، بالفاء .
4 – في ك : خذ .
5 – في ل : المعامض .
6 – في ل : استكراتة .
7 – في الأصل : ولا .
8 – في ك : مقصرا به عنه .

---

١ – قارن ذلك مع نصائح ابن قتيبة المسداة الى الكتّاب، في مقدمة أدب الكاتب، طبعة ليدن ١٩٠١ ص ١٠ – ١١ .

٢ – قارن ذلك مع قول ابن التوام : "علّم ابنك الحساب قبل الكتاب، فان الحساب اكسب من الكتاب، ومؤونة تعلّمه ايسر، ووجود منافعه اكثر"، البيان والتبيين، الجزء الثاني ص ١٨٠ .

٣ – يقول الجاحظ في كتاب البيان والتبيين، الجزء الأول ص ١٢٧ : "اما انا فلم أر قط امثل طريقة في البلاغة من الكتّاب، فانهم قد التمسوا من الألفاظ ما لم يكن متوعرا وحشيا، ولا ساقطا سوقيا" وانظر كتاب الحيوان الجزء الأول ص ٨٩ – ٩٠ . في الصفحات التالية يبحث الجاحظ موضوع الأسلوب، اللفظ والمعنى، وتقوية ملكة التعبير ولما كنا قد بحثنا ذلك في المقدمة فقد آثرنا عدم التعليق على ما يرد هنا بالتفصيل .

مغرقا [1] في الاكثار والتكلّف . فما أكثر من لا يحفل باستهلاك المعنى مع براعة اللفظ وغموضه على السامع، بعد أن يتّسق [2] له القول، وما زال المعنى محجوبا لم تكشف عنه العبارة، فالمعنى بعد مقيم على استخفائه، وصارت العبارة لغوا وظرفا خاليا .

وشرّ البلغاء من هيأ رسم المعنى قبل أن يهيء [3] المعنى، عشقا لذلك اللفظ، وشغفا بذلك الاسم، حتى صار يجر اليه المعنى جرا ويلزقه به الزاقا . حتى كأن الله، تبارك وتعالى [4]، لم يخلق لذلك المعنى اسما غيره، ومنعه الافصاح عنه الاّ به . والآفة الكبرى أن يكون رديء الطبع، بطيء اللفظ، كليل الحدّ [5]، شديد العجب، ويكون مع ذلك حريصا على ٨/و أن يعدّ في البلغاء، شديد الكلف بانتحال اسم الأدباء [6] . فاذا كان كذلك، خفي عليه فرق ما بين اجابة الألفاظ واستكراهه لها . والجملة [7] : ان لكل معنى شريف أو وضيع، هزل أو جدّ [8]، أو حزم أو اضاعة، ضربا [9] من اللفظ هو حقّه وحظّه ونصيبه الذي لا ينبغي أن يجاوزه ويقصر [10] دونه .

ومن قرأ كتب البلغاء، وتصفّح دواوين الحكماء، ليستفيد المعاني، فهو

---

1 — في ل وك : مغرقا . 2 — في ك : يتبين . 3 — في ل : يهيأ .

4 — في ل : "حتى كأن الله، مراده تعالى" . وعلى ما يبدو، لم يجد الناسخ في الأصل الظاهري الكلمة "تعالى" بعد اسم الجلالة، فأضاف الكلمتين : "مراده تعالى" . وقد طبعت على هذه الصورة في م . أما في ك : فقد حذفت الكلمة : مراده .

5 — في ل وم : الجدّ بالجيم المعجمة .

6 — في ك : الأدب . 7 — في ك وم : وبالجملة .

8 — في ك : هزلا أو جدا، لاعتقاد الطابع أن هزلا هي اسم أن، وهذا فاسـد .

9 — في ك : ضرب . 10 — في ك وم : أو يقصّر .

على سبيل صواب . ومن نظر فيها لبستفيد الألفاظ، فهو على سبيل خطأ [1] . والخسران ها هنا، في وزن الربح هناك . لأن من كانت غايته انتزاع [2] الألفاظ، حمله الحرص عليها، والاستهتار بها، الى أن يستعملها قبل وقتها، ويضعها في غير مكانها . ولذلك قال بعض الشعراء لصاحبه : أنا أشعر منك . قال صاحبه : ولم ذاك ؟ قال : لأني أقول البيت وأخاه، وأنت تقول البيت وابن عمّه [١] .

وانما هي رياضة وسياسة [3]، والرفيق [4] مصلح، والأخرق [5] مفسد . ولا بد من مران وطبيعة [6] مناسبة . وسماع الألفاظ ضارّ ونافع [7]، فالوجه النافع ; ان تدور في مسامعه، وتغيب [8] في قلبه، وتختمر [9] في صدره، فاذا طال مكثها، تناكحت ثم تلاقحت، فكانت نتيجتها أكرم نتيجة، وثمرتها أطيب

1 — في ل وك وم : الخطأ . 2 — في ل : أنواع .
3 — في ك : وساحة . وفي م : وسباحة .
4 — في م : الرفيق . 5 — في ل وك وم : والاخرق .
6 — في ل وك : هذان طبيعة . وفي م : هذين وطبيعة . ولا يخفى على ... أن الناقل عن أصل مكتوب بخط تعليق فارسي — حيث يقترب شكل ... الهاء المتصلة بالدال من كتابة الميم المتصلة بالراء — قد يختلط ... الأمر فحرّف كلمة "مران" الى "هذان"، وهذا ما حصل — على ما يبدو — لناسخ المخطوطة القاهرية الأم، التي أخذت عنها ال... اللندنية وطبع عنها ك و م . ولاحظ طابع هذه الأخيرة وجود حرف ... قبل : "هذان" فعبّرها الى "هذين" . وانظر ملاحظة ٤ ص ٧٧ ... نجد في الأصل المران في حين نجد في باقي النسخ الهوان .
7 — في الأصل وفي ل و م : ضارة ونافعة .
8 — في الأصل : وتغبّ، وما أثبتناه، وهو الأفضل، من باقي النسخ .
9 — في ك : يختم، وفي م : يختتم وهذا فاسد .

١ — ورد هذا القول في البيان والتبيين، منسوبا للشاعر عمر بن لجأ، مرة، ودون تحديد اسم الشاعر، كما هو الحال في كتابنا هذا، مرة ثانية، الجزء الأول ص ٢٠٦، ٢٢٨ .
وأورده ابن قتيبة، منسوبا لعمر بن لجأ، في الشعر والشعراء، ص ١٥ ، ٢٦ . وفي عيون الأخبار، الجزء الثاني ص ١٨٤ .

ثمرة، لأنها حينئذ تخرج غير مسترقة، ولا مختلسة[1]، ولا مغتصبة، ولا دالة على فقر، اذ لم يكن القصد الى شيء بعينه، والاعتماد عليه دون غيره. وبين الشيء اذا عشّش في الصّدر، ثم باض ثم فرّخ ثم نهض، وبين أن يكون الخاطر مختارا[2]، واللفظ اعتسافا واغتصابا، فرق بيّن[١].

ومتى اتكل صاحب البلاغة على الهوينا والوكال، وعلى السرقة والاحتيال، لم ينل طائلا، وشق عليه النزوع[3]، واستولى عليه الهوان[4]، واستهلكه سوء العادة.

والوجه الضار: ان يتحفظ[5] ألفاظا بأعيانها، من كتاب بعينه أو من لفظ رجل، ثم يريد أن[6] يعدّ لتلك الألفاظ قسمها من المعاني، فهذا لا يكون الا بخيلا فقيرا وحائفا[7] سروقا. ولا يكون الا مستكرها لألفاظه، متكلفا لمعانيه، مضطرب التأليف، منقطع النظام، فاذا مر كلامه بنقاد الألفاظ وجهابذة المعاني، استخفوا عقله، وبهرجوا علمه. ثم أعلم أن الاستكراه في كل/ شيء سمج، وحيث ما وقع فهو مذموم، وهو في الطرف /٨ظ

1 – في ل: محترسة. 2 – في الأصل: محتارا، بحاء مهملة.
3 – في الأصل: النروع، باهمال نقط النون أو الزاى.
4 – في الأصل: المران. 5 – في ك و م: يحفظ.
6 – في ل: يوبدان، وفي م: يوئبد أن.
7 – في الأصل: خايفا، وفي ك و م: خائفا، وفي ل: حايفا. وقد أشرنا الى أن النسّاخ يمدون المهموز ويسقطون الهمزة عادة، لذا فما أثبتناه اعتمادا على ل هو الأفضل.

١ – قارن مع الشروط اللازمة لاحكام صناعة الشعر التي يقدمها ابن خلدون في المقدمة ص ٥٧٤ وقد اقتبسها حسين المرصفي في الوسيلة الأدبية، القاهرة ١٢٨٩ هـ، ص ٤٦٨ – ٤٦٩.

أسمج، وفي البلاغة أقبح . وما أحسن حاله، ما دامت الألفاظ مسموعة من فمه [1]، مسرودة في نفسه، ولم تكن مخلدة في كتبه . وخير الكتب ما اذا أعدت النظر فيه [2] زادك في حسنه وأوقف [3] على حده [١] .

.. في ذم اللواط [٢] : والذي يدل على أن هذه الشهوة معيبة [في] [4] نفسها، قبيحة في عينها، ان الله تعالى وعزّ لم [5] يعوض في الآخرة بشهوة الولدان، من ترك لوجهه في الدنيا شهوة الغلمان . كما سقى في الآخرة الخمر من تركها له في الدنيا، ثم مدح خمر الجنة بأقصر الكلام، فنظم به جميع المعاني المكروهة في خمر الدنيا، فقال : "لا يصدعون عنها ولا ينزفون" [٣]، كأنه، تبارك وتعالى، قال لا سكر فيها ولا خمار .

---

1 — في ل : فهمه .

2 — في الأصل: أعدت فيه النظر، وما أثبتناه، عن باقي النسخ والعبارتان صحيحتان .

3 — في ك : أوقفك .

4 — في الأصل وفي ل: وردت العبارة بدونها، فهي هناك: معيبة نفسها . أما وجودها في ك، فلا ندري ان كان عائدا الى تواجدها في الأصل القاهري أم أن الطابع زادها لأن سياق الجملة يقتضي ذلك ؟

5 — سقطت الكلمات : تعالى وعزّ لم .. من الأصل ومكانها فراغ صغير يسع لكلمة لم، التي أسقطت على ما يبدو، تماجنا من الناسخ، أو سهوا .

---

١ — انظر كتاب الحيوان، الجزء الأول ص ٨٨ — ٩٠ حيث يتحدث عن الصفات التي يجب أن تتوفر في الكتاب وص ٩٢ حيث يعيب كتب الأخفش لصعوبتها . وانظر ما كتبته المستشرقة البولونية : Skarżyńska - Bocheńska, في مقالها المشار اليه آنفا : "آراء الجاحظ في الكاتب والعمل الأدبي" (بالفرنسية) ص ١٠٩ — ١١٠ وهي تعتمد هناك على ما أشرنا اليه من صفحات كتاب الحيوان .

٢ — تحدثنا عن هذا الفصل في المقدمة، لذا فلن نعلق عليه في الملاحظات التفسيرية هنا .

٣ — القرآن الكريم، سورة الواقعة، آية ١٩ . جاء في الحيوان الجزء الثالث ص ٨٦، تعليقا على هذه الآية : "وهاتان كلمتان قد جمعتا جميع عيوب خمر أهل الدنيا" .

وفي اكتفاء الرجال بالرجال، والنساء بالنساء، انقطاع النسل. وفي انقطاع النسل بطلان جميع الدّين والدنيا. وغشيان الرجل الرجل، والمرأة المرأة، من المنكوس المعكوس[1]، ومن المبدل المقلوب. لأن الله، جل ذكره، انما خلق الذكر للأنثى، وجعل بينهما أسباب التّحاب، وعلائق الشركة، وعلل المشاكلة. وجعل الذكر طبقا للأنثى، وجعل الأنثى سكنا للرجل[١]. فقلب هؤلاء الأمر وعكسوه، واستقبلوا من اختار الله لهم بالرد والزهد فيه.

... ومن المعلمين ثم من البلغاء المتأدبين، عبد الله بن[2] المقفع، ويكنّى[3] أبا عمرو. وكان يتولى لال الأهتم. وكان مقدّما في بلاغة اللسان والقلم، والترجمة، واختراع المعاني وابتداع السير. وكان جوادا فارسا، جميلا. وكان اذا شاء أن يقول الشعر قاله. وكان يتعاطى الكلام، ولم يكن يحسن منه، لا قليلا ولا كثيرا. وكان ضابطا لحكايات المقالات، ولا يعرف من أين غر المغتر[4]، ووثق الواثق. واذا أردت أن تعتبر ذلك، ان كنت من خلّص المتكلمين ومن النظارين، فاعتبر ذلك بأن تنظر في آخر رسالته الهاشمية، فانك تجده جيد الحكاية لدعوى القوم، رديء المدخل في مواضع الطعن عليهم. وقد يكون الرجل يحسن الصنف والصنفين من العلم فيظن بنفسه، عند ذلك، أنه لا يحمل عقله على شيء الا نفذ به[5] فيه.

---

1 ــ في ل : المنكوس والمعكوس باضافة حرف العطف.

2 ــ في ل : ابن.

3 ــ في الأصل و ل : يكنا.

4 ــ في الأصل : غرّ المغترّ، والمدّة فوق الزّاي، ربّما كانت اشارة الى وجوب حذف النقطة.

5 ــ في ك : بعد به، وفي الأصل : بعد به، باهمال نقط أحرف بعد، ودون توضيح الحرف الثاني فيها. أهو فاء أم عين ؟ وما أثبتناه عن ل. ولا خلاف جوهريّ في المعنى بين الروايتين.

---

١ ــ اشارة الى الآيات : ٢١ سورة الروم، ١٨٩، سورة الأعراف، و ٣، سورة الليل.

، كالذي اعترى الخليل بن احمد بعد احسانه في النحو/ والعروض، ان ادعى العلم بالكلام، وبأوزان الأغاني فخرج من الجهل الى مقدار لا يبلغه أحد الا بخذلان الله تعالى[١]، فلا حرمنا الله، تعالى، عصمته ولا ابتلانا بخذلانه .

... وهذان شاعران جاهليان، بعيدان من التوليد وبنجوة من التكلّف [1/٢] .

... ومن خصال العبادة، وان كانت كلها راجحة، فليس فيها شيء آردّ في عاجل، ولا أفضل في آجل من حسن الظن بالله، تعالى وعزّ، ثم أعلم أن أعقل الناس السلطان، ومن احتاج الى معاملته . وعلى قدر الحاجة اليه، ينفتح له باب الحيلة والاهتداء الى مواضع الحجة . وما أقرب فضل الراعي على الرعيّة من فضل السائس على الدابة . ولولا السلطان لأكل الناس بعضهم بعضا، كما أنه لولا المُسَيِّمُ لأتت[2] السباع على السَّوام[٣] .

1 – في ل وك : التكليف . 2 – في ك : لوثب .

١ – يتحدّث الجاحظ عن اسهام الخليل بن احمد في وضع أوزان القصيد، العروض، في كتاب البيان والتبيين الجزء الأول ص ١٣٩، ويلمح الجاحظ في الحيوان، الجزء الأول ص ٢٠٢ – ٢٠٣ الى حماقة من يحاول أن يتكلف شيئا بعيدا عن طبعه .

٢ – هذا جزء من عبارة أسقطها المختار .

٣ – هذه النظرة لأهمية السلطان في الأرض ليست اسلامية المنشأ فهي موجودة في التوراة، العهد القديم، حبقوق، الاصحاح الأول، عدد ١٤، وفي פרקי אבות التي تعود الى القرن الثاني الميلادي . أنظر: אברהם שטאל, פרקי אבות, תל אביב,1975 ע. 135 وتحدث عنها بتوسع الطرطوشي، كتاب سراج الملوك، القاهرة، ١٩٣٥ ص ٨٧ – ٩٠، حيث يورد عبارة مطابقة لعبارة التوراة تقريبا : "مثل العباد بلا سلطان مثل الحيتان في البحر يزدري الكبير الصغير". وتجدر الاشارة هنا الى أن نظرة الطرطوشي الى العباد لا تختلف كثيرا عن نظرة الجاحظ، فكلاهما يرى أن الله طبع الخلق على الأنانية، "على حبّ اجترار المنافع ودفع المضارّ" كما يقول الجاحظ في رسالة المعاش والمعاد، رسائل الجاحظ الجزء الأول، ص ٢٠٢ – ٢٠٣، أو "حبّ الانتصاف وعدم الانصاف" كما يقول الطرطوشي، ص ٨٧ .

ودعني من تدربسه[1] كتب أبي حنيفة[١] . ودعني من قولهم : اصرفه الى الصيارفة[٢]، فان صناعة الصرف تجمع[2] مع الكتاب والحساب، المعرفة بأصناف الأموال، ولا تجد بدا[3] من جلة[4] السلطان . ودعني من قول من يقول : قد كانت قريش تجارا، فان هذا باب لا ينقاس[5] ولا يطّرد . ومن قاس تجار الكرخ[6] وباعته، وتجار الأهواز والبصرة، على تجار قريش، فقد أخطأ مواضع القياس، وجهل أقدار العلل؛ قريش قوم لم يزل الله، تعالى، يقلبهم في الأرحام البريئة[7] من الافات، وينقلهم من الأصلاب السليمة من العاهات، ويعبّهم[8] لكل جسيم ويربّهم[9] لكل عظيم[٣] .

---

1 – في الأصل وفي ل : تدرسه، وفي ك : تدريس . والأفضل ما أثبتناه .

2 – في ل : يجمع . وقد وردت في الأصل باهمال الحرف الأول من النقط. وما أثبتناه من ك .

3 – في ل : تجديدا .

4 – في ك : حلة، بالحاء المهملة .

5 – في الأصل : لا يقاس . وبها يستقيم الكلام أيضا .

6 – في ل وك : الكرج، والأفضل ما أثبتناه عن الأصل، لأن المقصود هنا كرخ بغداد وهو الحي التجاري فيها .

7 – في ل : البريـة .

8 – في ل : يعيبهم ، وفي ك : يتقبهم . وهذا تحريف عما ورد في الأصل .

9 – في ل : ويريبهم ، وفي ك : ويربسهم . وهذا تحريف عما ورد في الأصل، دون نقط، وهو ما أثبتناه مع نقطه .

---

١ – أبو حنيفة النعمان، أنظر الحيوان، الجزء الأول ص ٨٧، والجزء الثالث، ص ١٩ . والمعروف ان ابا حنيفة لم يكتب بنفسه اي كتاب في الفقه، انما ناقش آراءه وأملاها على بعض تلاميذه فدونوها . انظر : J. Schacht, *Abu ḥanifa al-Nu^{c}mān, EI$_2$*, I. 123-4 .

٢ – جاء في البيان والتّبيين، الجزء الثاني ص ٦٦ : "وقف أعرابي يسأل قوما فقالوا له : عليك بالصيارفة، فقال : هناك، والله، قرارة اللؤم" .

٣ – كتب الجاحظ عن خصال قريش في كتاب الأمصار وعجائب البلدان، تحقيق شارل بلات، مجلة المشرق، آذار – نيسان ١٩٦٦ ص ٧٤ – ١٧٨ . ويعبّهم تعني : يهيئهم ويجهزهم وربما يكثرهم، ويربهم تعني : يربيهم ويسوسهم .

ولو علم هذا القائل ما كانت قريش عليه في التجارة، لعرف اختلاف السبل، وتفاوت ما بين الطرق . ولو كانت علتهم في ذلك كعلة تجار الأبلة، ومحتكرى أهل الحيرة، لثلمت دقة التجارة في أعراضهم [1]، ولنهك سخف الربح [2] من مروآتهم . ولصغّر ذلك من أقدارهم في صدور العرب، ولوضع من علوّهم عند أهل الشرف .

وكيف، وقد ارتحلت اليهم الشعراء كما ارتحلت الى الملوك العظماء، فأسنوا لهم العطية [١]، ولم يقصّروا عن غاية، فسقوا الحجيج، وأقاموا القرى لزوار [بيت] [3] الله تعالى [٢]، وهم بواد غير ذى زرع ؟ فلو أنه كان معهم من الفضل ما يبهر العقول، ومن المجد ما تخرج [4] فيه العيون، لما أصلح [5] طبائعهم الشيء الذى يفسد جميع الأمة . ولقد أورث ذلك صدورهم من السعة بقدر ما أورث غيرهم من الضيق [٣] . ولو كانت/ سبلهم عند الملوك / اذا وفدوا عليهم أو وردوا [6] بلادهم بالتجارات، سبيل غيرهم من التجار،

---

1 – في ل و ك : أغراضهم، بالغين المعجمة .

2 – في الأصل : المدبح، وفي ل : التربح، وفي ك : الربح، وهذا هو الأفضل وهو ما أثبتناه . وان كنا لا نرفض رواية الأصل : المديح .

3 – سقطت من جميع النسخ .

4 – في ل وفي ك : بخرج، وفي الأصل وردت الكلمة بلا نقط .

5 – في الأصل وفي ل : صلح، وفضلنا ما ورد في ك : للطباق السلبي بين الفعل أصلح والفعل أفسد الذى يتبعه بصيغة المضارع .

6 – في ل : وأوردوا .

---

١ – قارن مع الأمصار وعجائب البلدان، حيث يقول ذات الشيء ولكن باسلوب آخر . ص ١٧٦ – ١٧٧ .

٢ – انظر نفس المصدر ص ١٧٦ .

٣ – قارن مع الأمصار وعجائب البلدان، ص ١٧٦ .

لما أوجهوهم وقرّبوهم، ولما أقاموا لهم قرى الملوك وحبوهم بكرامة الخواص[1] .
وإذا كانت قريش حمسا، تنسك في دينها وتتأله[2] في عبادتها، وكان مانعا لهم من الغارات والسباء، ومن وطء النساء من جهة المغنم [١] ـ ولذلك لم يئدوا البنات ولا ولدت منهم امرأة في[3] غيرهم من جهة السباء [٢]، ولا زوّجوا أحدا من العرب حتى يتحمّس ويدين بدينهم [٣]، ولذلك لما صاروا إلى بناء الكعبة لم يخرجوا في بنائها من أموالهم الا مواريث آبائهم ونسائهم، وخوفا أن يخالطه شيء من حرام، اذا كانت أرباح التجارات مخوفا عليها ذلك [٤] ـ فلما كانوا بواد غير ذي زرع، ويحتاجون الى الأقوات[4] واقامة القرى، لم يجدوا بدا من أن يتكلّفوا ما يعيّشهم ويصلح شأنهم، فأخذوا الايلاف [٥]، ورحلوا الى الملوك بالتجارات. فهذا هو السبب .

---

1 ـ في ل وك : الخاص . 2 ـ في ك : تتاله .
3 ـ في ل و ك : سقط حرف الجر، في، وحل مكانه، في ل: فقط حرف العطف واو . ويستوى الأصل وك من ناحية المعنى .
4 ـ في ل : الأوقات .

---

١ ـ "وكانوا [قريش] ديّانين ولذلك تركوا الغزو لما فيه من الغصب والقسم واستحلال الأموال والفروج" المصدر السابق، ص ١٧٦ .
٢ ـ يقول الجاحظ في المصدر السابق : "ومما بانت به قريش عن سائر العرب ان الله تعالى جاء بالاسلام وليس في ايدي جميع العرب نسبة من جميع نساء قريش، ولا وجدوا في جميع أيدي العرب ولدا من امراة من قريش". ص ١٧٥ .
٣ ـ جاء في المصدر السابق : "ومما بانت به قريش عن سائر العرب انها لم تزوّج أحدا من أشراف العرب الا على ان يتحمّس" . ص ١٧٥ .
٤ ـ جاء في المصدر السابق : "الا ترى انهم عند بنيان الكعبة قال رؤساؤهم : "ولا تخرجوا في نفقاتكم على هذا البيت الا من صدقات نسائكم ومواريث آبائكم"، أرادوا مالا لم يكسبوه ولا يشكون انه لم يدخله من الحرام شيء"، ص ١٧٦ .
٥ ـ جاء في المصدر السابق : "ومن العجب ان كسبهم لما قل من قبل تركهم الغزو، مالوا الى الايلاف والجهاد، ص ١٧٦ .

فانظر كم بين علتهم وعلة غيرهم ، فيسرّك بعد هذا ، أن يتحوّل ابنك في مسلاخ [1] صالح الدّرادريشي [2] أو في طباع ابن بادام [3] وفي عقل ابن سافري [4/1] .

فان زعموا أن أصحاب السلطان بعرض مكروه . فليعلموا أنّ كلّ مسافر فبعرض مكروه . وقد قال بعض الحكماء : المسافر ومتاعه على قلت [5] ، الا من حفظ الله تعالى [٢] ، يعني على هلاك . وراكب البحر أشدّ خطرا ، ومشتري طعام الأهواز أشدّ تهورا ، ورافع الشراع بعرض هلكة ، والمتعرّض للملام والمعرض نفسه للسباع ، أقل شفقة ، وسكان الجزائر والسواحل ، أحق بالتعرّض ، وأولى بالخوف . والمنهوم بالطعام الرديء ، والمدمن للشراب أشبه بأصحاب

1 – في الأصل وفي ل : مسلاح بالحاء المهملة .

2 – في الأصل : الزادرشي وفي ل : الدزازريشي وفي ك : الذراليري . وما أثبتناه عن كتاب البخلاء للجاحظ ، تحقيق ، طه الحاجري ، القاهرة ١٩٦٣ ص ١٣٣ .

3 – في الأصل الباء مهملة ، وفي ل و ك : آدم .

4 – في جميع النسخ ، ابن سامري . وما أثبتناه عن الحيوان ، الجزء الثالث ص ٣٨٥ – ٣٨٨ والبخلاء ص ٢٠٨ .

5 – في ل و ك : قلة ، وهذا فاسد . والقلت هو الهلاك .

١ – في مسلاخ صالح الدرادريشي ، أى في هيئته ومنزلته . انظر البيان والتبيين ، الجزء الأول ص ١٣ ، ١٧٠ والجزء الثاني ص ٢٨٥ ، ورد ذكر الدرادريشي في كتاب البخلاء ، تحقيق وشرح طه الحاجري ، القاهرة ١٩٤٨ ص ١٣٢ . ويفهم من النص هناك انه كان غنيا حريصا على المال بخيلا ينتهر السائلين . اما ابن بادام ، فلم نجد له ذكرا في مراجعنا . اما الثالث ، فالجاحظ يتحدث في الحيوان وفي البخلاء عن شخص يدعى ابن سافري ، يخاطبه ثمامة بن اشرس شاتما اياه ، في البخلاء ، ويظهر لنا غفلا ، ضعيف المنة سهل القيادة للخادع والمتغفل في الحيوان ، الجزء الثالث ص ٢٨٥ – ٢٨٨ ، انظر تعليقات الحاجري في نهاية البخلاء ، ص ٤ . هل هذا هو ذات الشخص الذي ورد ذكره في المعلمين ، وهل اصبنا في تحريف الاسم هنا من ابن سامري الى ابن سافري ، اسئلة تبقى معلقة بلا حل قاطع .

٢ – انظر مادة "قلت" في لسان العرب وفي ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث ، تحقيق محمود الطناحي ، القاهرة ١٩٦٣ الجزء الرابع ، ص ٩٨ مادة قلت ، حيث نجد : "ان المسافر وماله لعلى قلت الا ما وقى الله" .

التغرير [1]، والمتباري في ذلك، والمتزيّد [2] منه، أحقّ بتوقع الحدثان وحوادث الأزمان، قد [3] جرت عليه عادة الدهر وسيرة الأيام. وهذا كله أحقّ بالاهتمام، ان [4] كنت الى الاشفاق تذهب، والى اعطاء الحزم أكثر من نصيبه.

وكيف دار الأمر، فان التاجر قد استشعر الذلّ وتغشّى ثوب المذلّة. وصاحب السّلطان قد تجاوز حدّ العزّ والهيبة، وانما عيبه شكر السّلطان، وافراط التعظيم [١]، قد استبطن بالعزّ وظاهر بالبشر، واستحكمت تجربته، وبعدت بصيرته، حتى عرف مصلحة كل مضر [5]، واصلاح كلّ فاسد، واقامة كلّ معوّج، وعمارة كل خرب.

ولا أعلم في الأرض أعمّ افلاسا، ولا أشدّ نكبة، ولا أكثر تحولا [6] من يسر الى عسر [من التجار] [7/٢]، ولا رأينا/ الحوائج الى أحد أهدى /١٠ و منها الى أموال الصيارفة. فكيف يقاس شأن قوم تعمهم المعاطب [8]، بشأن

1 – في ل : التعزيـز.
2 – في الأصل : المريد، باهمال نقط التاء والزاي، وفي ل : المتريد باهمال نقط الزاي.
3 – في ل : حتـى.
4 – في جميع النسخ، وان. وما أثبتناه أفصل.
5 – في ل : مصر بالصاد المهملة.
6 – في ل : تجولا بالجيم.
7 – اضافة يقتضيها السياق.
8 – في ل : المعاطـر.

١ – انظر نقيض ذلك فيما قاله الجاحظ في رسالة مدح التجار وذمّ عمل السلطان، مجموعة رسائل الجاحظ، ص ١٤٢. وانظر طه الحاجري، الجاحظ، ص ٢٨٤ – ٢٨٧ حيث يقدم الكاتب تفسيرا لموقف الجاحظ الايجابي تجاه التجار والتجارة، والسلبي تجاه عمال السلطان، يتلخص ذلك في كونه أراد الدفاع عن ابن الزيات، الذي تولى الوزارة بعد ان كان تاجرا، والذي هجي على ما يبدو، من قبل الشعراء والعلماء وهجّن لاشتغاله في التجارة. قارنه مع وديعة طه النجم، الجاحظ، ص ٩٧ – ١٠١.

٢ – انظر نقيض ذلك، في مدح التجار وذمّ عمل السلطان ص ١٤٢.

قوم ، أهل السلامة فيهم أكثر ، والنكبات فيهم أقل ؟

وبعد هذا ، فاني أرى أن لا تستكرهه فتبغّض اليه الأدب • ولا تهمله ، فيعتاد اللهو[١] • على اني لا أعلم في جميع الأرض شيئا أجلب لجميع الفساد من قرناء السوء ، والفراغ الفاضل عن الجمام[1] • درّسه العلم ما[2] كان فارغا من اشغال الرجال ومطالب ذوي الهمم • واحتل في أن تكون أحبّ اليه[3] من أمّه • ولا تستطيع أن يمحضك المقة ، ويصفي لك المودة ، مع كراهته لما تحمل اليه من ثقل التأديب عند[4] من لم[5] يبلغ حال العارف بفضل ، فاستخرج مكنون محبته ببر اللسان ، وبذل المال • ولهذا مقدار ، من جازه[6] أفرط ، والافراط سرف ، ومن قصّر عنه فرط ، والمفرط مضياع[٢] •

ولا تستكثرن هذا كلّه ، فان بعض النعمة فيه تأتي على أضعاف النّعامة • والذي تحاول من صلاح[7] أمر من تؤمل فيه أن يقوم في أهلك مقامك — واصلاح ما خلّفت كقيامك — لحقيق بالحيطة عليه ، وباعطاء المجهود من نفسك • وقال زكريا ، عليه السلام : "ربّ لا تذرني فردا وأنت خير الوارثين[٣] •

---

1 — في ك : الجهاد •

2 — في ك : في دراسة العلم مما • وعليه فالعبارة هناك : "والفراغ الفاضل عن الجهاد في دراسة العلم مما كان" •• وهذا فاسد •

3 — في الأصل : واحتل أن تكون اليه احب اليه •

4 — في ل : عنه • 5 — سقطت من الأصل ومن ل •

6 — في ل و ك : حازه ، بالحاء المهملة • 7 — في ك : اصلاح •

---

١ — قارن مع البيان والتبيين ، الجزء الثاني ص ٧٣ — ٧٤ •

٢ — يقول الجاحظ في رسالة الجد والهزل : "ولا خير في طول الراحة اذا كان يورث الغفلة ، ولا في الكفاية اذا كان يؤدي الى المعجزة ، ولا في كثرة الغنى اذا كان يخرج الى البلادة ، رسائل الجاحظ ، الجزء الأول ص ٢٣٤ •

٣ — سورة الأنبياء ، الآية ٨٩ •

فعلم الله، تبارك وتعالى، فوهب له غلاما . وقال الله، جلّ وعزّ [1] : "وليس الذكر كالأنثى" [١] . اعلم انه أعطاك ولدا عبرة [2] عين العدو وقرّة عين الصديق الولي [٢] ، فاحمد [3] الله، وأخلص له الدعاء، وأكثر من الخير ان شاء الله تعالى [4] .

---

1 – في ل و ك : عز وجل .

2 – في ل و ك : غيرة، وهذا فاسد، فقرّة العين عكسها عبرة العين (أي دمعتها التي تسخنها) .

3 – في الأصل : فاحبر، غير واضحة .

4 – في الأصل : ان شاء الله، بدون تعالى .

---

١ – سورة، آل عمران، الاية ٣٦ .

٢ – اشارة الى الاية : ٧٤ من سورة الفرقان، "والذين يقولون ربّنا هب لنا من ازواجنا وذريتنا قرّة أعين واجعلنا للمتقين اماما"، ويورد القرطبي في تفسيره لهذه الاية القول التالي :
"يقال : اقرّ الله عينك واسخن الله عين العدو (وهذا، كما يلاحظ، قريب في معناه من جملة الجاحظ) محمد بن احمد الأنصارى القرطبي، الجامع لأحكام القرآن طبعة دار الكتب، القاهرة ١٩٦٧، الجزء الثالث عشر ص ٨٢ . ويذكر ابن حنبل في مسنده حديثين مرفوعين يصف بهما الرسول الولد بانّه قرّة العين، المسند، المكتبة الاسلامية للطباعة والنشر، بيروت ١٩٧٨، المجلد الخامس ص ٢١١، والسادس ص ٤٥٨ .

الكتاب الثاني

فصول من كتاب
في الرد على المشبهة

مقدمة

شارك الجاحظ غيره من المعتزلة في الدفاع عن مذهب أهل العدل والتوحيد، شارحا ومبسطا له تارة، ومجادلا لخصومه تارة أخرى . وقد برع في ذلك . وسرعان ما بدأت آراؤه المذهبية تتميز عن غيرها متخذة طابعا خاصا استمدته، بلا شك، من عبقريته وأصالة تفكيره وسعة اطلاعه . فعرف له، في اطار الاعتزال، مذهب خاص ـ الجاحظية ـ وأتباع ساروا على طريقه [1] . ولكنه، وهذا أمر طبيعي، لم يعدم الخصوم لهذا المذهب، حتى من قبل بعض زملائه من المعتزلة . لذا نجده يدافع عن مذهبه هذا، في بعض أعماله التي وصلتنا، أمام هجوم خصومه الخارجيين (من سنة ومذاهب وفرق وديانات أخرى) والداخليين، (من المعتزلة) .

ويميز الجاحظ في كتاباته الكلامية هذه، أسلوب جدلي متين أساسه القياس والبراهين المنطقية التي تبنى على دلالات مستمدة من المحسوسات

---

١ ـ عبد القاهر البغدادي، الفرق بين الفرق، ص ١٦٠ ـ ١٦٢، فؤاد البستاني، درس ومنتخبات من كتاب الحيوان، الجزء الثاني، بيروت ١٩٢٨ ص ز ـ م، محمد عبد المنعم خفاجي، أبو عثمان الجاحظ، (دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٧٣) ص ١٤٥ ـ ١٥٣ محمد عماره، المعتزلة ومشكلة الحرية الانسانية (القاهرة ١٩٧١) ص ٨٢ ـ ٨٨ .

M.A.S. Tritton, *Muslem theology*, London 1947, pp. 131–134. Ch. Pellat, Djāḥiẓ, *EI₂ I.* G. Vajda, *"La connaissance naturelle de Dieu selon al-Ǧāḥiẓ critiquée par les muʿtazilites"*, *SI.* XXIV pp. 19 33. J. van Ess, *"Ǧāḥiẓ and aṣḥāb al-maʿārif."* *Der Islam*, 42, 1966. pp. 169–178, Ch. Pellat, *"al-Ǧāḥiẓ hérésiographe" Bull. d'etudes orientales*, Damas, 1978, p.151.

أو المعقولات التي وضحها الديانة من جهة، والتجارب البشرية، من جهة أخـرى ٠

ومن أهم المواضيع المركزية التي احتدم حولها النقاش بين المعتزلة والسنة والفرق المشبّهة، موضوع الذات والصفات الالهية ٠ ولقد أسهم الجاحظ في ذلك اسهاما كبيرا ٠

لقد وجدت المعتزلة في تصور السنة، وغيرها من الفرق المشبّهة، لله ابتعادا عن التوحيد الذي نادى به الاسلام، فراحت تدافع عن هذا التوحيد المطلق الذي لا تشوبه أي شائبة، فدأبت على تنزيه الذات الالهية عن كل الصفات البشرية، وعلى نفي كل ما ينسب اليها من أمور ومعان تتعارض والتوحيد، والتنزيه المطلقين ٠ (الأمر الذي جعل خصومهم يطلقون عليهم اسم المعطلة) ٠ فنفت امكانية رؤية الباري، وأولت الاستواء على العرش بأنه استيلاء، ورفضت امكانية نسبة التحرك أو التواجد الحسيين لله ٠ وهي في ذلك كله تعتمد على القرآن وتتخذ من آياته دلائل تشهد على صدق مذهبها وبطلان أقوال الخصم [1] ٠

وعلى هذا المصدر بالذات، اعتمد مخالفوهم ولنفس الأهداف،

---

١ – أنظر Strothmann, *Tashbih*, EI_1, *IV, pp.* 685-7 وأحمد محمود صبحي، في علم الكلام، دراسة فلسفية، المعتزلة الاشاعرة والشيعة، القاهرة ١٩٦٩ ص ٩٢ – ٩٤، و: A. Subhan, "*Mu*ᶜ*tazilite view on Beatific vision*", *IC*, 15, 1941, pp. 422-28.

الأشعري، الابانة عن أصول الديانة، نشر المطبعة المنيرية، مصر (القاهرة ١٣٤٨ هـ) ص ٧ – ٥٢ ٠ مقالات الاسلاميين، تحقيق هلموت ريتر (فيسبادن ١٩٦٣) ص ١٥٥ – ١٦٦ ٠

ابن قتيبة، الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبّهة، حققه وعلق عليه الأستاذ الشيخ محمد زاهد الكوثري، (القاهرة ١٣٢٩ هـ) ص ٢٢ – ٢٩ ٠ أحمد بن حنبل، الرد على الجهمية، حقق وعلق عليه، د٠ عبد الرحمن عميره، (دار اللواء الرياض ١٩٧٧) ص ٨٦ – ١٤٩ أبو سعيد عثمان بن سعيد الدارمي، الرد على الجهمية، تحقيق فيتستام G. Vitestam (ليدن ١٩٦٠) ٠

مستعينين، أحيانا، بالحديث النبوي الشريف.

كان من الطبيعي اذن، أن يحتل تفسير أو تأويل الآيات التي يستشهد بها كل من الفريقين، مكانا مركزيا في حلقات الجدل بينهما. حتى اننا نجد في العديد من الحالات، أن موضوع المناظرة بين الفريقين لا يتعدى ذلك [١].

ولقد حفظت لنا الكثير من هذه المناظرات في كتب الكلام التي وضعها ممثلو كلا الطرفين. ويعود قسم مما وصل الينا منها الى القرن الثالث للهجرة (التاسع ميلادي). يمثل المعتزلة فيها، الجاحظ بكتابه الذي نحن بصدده في هذا العمل، في الرد على المشبّهة. في حين أن السنة ممثلة بكل من ابن حنبل وأبي سعيد الدارمي وابن قتيبة [٢].

ولقد حظيت كتب السنة هذه بعناية العلماء المعاصرين فحققت وطبع بعضها مرارا، في حين أن كتاب الجاحظ لم يحظ بالعناية اللائقة به. بل انه على ما يبدو كان مجهولا بالنسبة لبعض من كتب عن هذا الكاتب أو عن آراء المعتزلة بشكل عام، وموقفهم من المشبّهة بشكل خاص [٣]. ولقد أشار الحاجري في كتابه عن الجاحظ، الى وجود أقسام من هذا الكتاب في مخطوطة المتحف البريطاني (Or. 1129) التي تجمع مختارات من كتب الجاحظ قام بها عبيدالله بن حسّان وفي مخطوط داماد باشا رقم ٩٤٩، الأوراق ٨٨ وما بعدها (!). كما انه أورد فقرات قصيرة منه، وتحدث

١ – أنظر ابن حنبل، كتاب الرّدّ على الجهمية، خاصة صفحات، ٤٤، ٤٥، ١٠٤ – ١٠٧، ١٢٧ – ١٤٩ والدارمي، كتاب الرّد على الجهمية ١٤٥ – ١٤٦. ابن قتيبة، كتاب الاختلاف في اللفظ والرّد على الجهمية والمشبّهة، خاصة صفحات ١٥ – ١٩، ٢٢ – ٤٧ ولنفس الكاتب، تأويل مختلف الحديث، تحقيق: محمد زهري النجار، القاهرة، ١٩٦٦ من: ٦٧ – ٧٠، ٢٠٥ – ٢١٥ الأشعري الابانة، ص ٧ – ٥٢.

٢ – أنظر ملاحظة رقم ١ ص ٩٢.

٣ – أنظر حديثنا عن المخطوطتين.

باختصار، عن أسلوب الجاحظ فيه [1] . لكن ذلك يبقى عملا جزئيا ان دلّ على شيء فانما يدل على الفراغ الذي يتركه غياب هذا الكتاب عن مكتبات الباحثين، خاصة في وقت زاد فيه الاهتمام بالجاحظية بشكل خاص وبالاعتزال بشكل عام .

لذا قررنا تحقيق ونشر هذا الكتاب والتقديم له بدراسة عنه، شارحين لما غمض منه، ومشيرين بالهوامش، الى ردود أهل السنة على ما يورد الكاتب من آراء وحجج اعتزالية، والى ما نجد في كتب الاعتزال المتأخرة من صدى لما ورد في هذا الكتاب [2] .

زمن تأليف الكتاب

تندر اشارة الجاحظ الى زمن تأليفه لأعماله في الكتب ذاتها . وكتاب في الرد على المشبّهة لا يستثنى من ذلك . لذا علينا اللجوء الى مصادر خارجية تساعدنا على تحديد زمن تأليفه . ولن نبتعد كثيرا، فاذا ما عدنا الى كتب الجاحظ الأخرى، التي وردت فيها اشارات الى هذا الكتاب،

---

١ — طه الحاجري، الجاحظ ص ٣٤١ — ٣٤٢، حاولنا الحصول على صورة للأوراق وما بعدها من مخطوط داماد باشا ٩٤٩ الذي توجد له صورة في مكتبة جامعة ايسالا في السويد، لكننا لم نجد فيها كتاب الرد على المشبهة، بل نهاية كتاب فخر السودان على البيضان . وهو مطبوع في رسائل الجاحظ تحقيق عبد السلام هارون ص ٢١٤ — ٢٢٦ . حيث يشير في الهوامش الى أرقام صفحات المخطوط ٨٨ وما بعدها . والحقيقة، أن الكتاب موجود ضمن مجموعة رسائل وكتب الجاحظ الموجودة في مكتبة Topkapi, Emanet H. رقم ١٣٥٨ الأوراق ٧٣ — ٧٥، كما جاء في وصف المخطوطتين المعتمدتين في تحقيقنا للكتاب .

٢ — كنا قد أولينا مذهب الجاحظ الاعتزالي اهتماما خاصا أثناء تحضير رسالة الدكتوراه بارشاد الأستاذ شارل بلات، وقد نشرت هذه الدراسة في باريس سنة ١٩٧٧ Geries, *Un genre litteraire arabe*. ثم قمنا بدراسة الجاحظية، من خلال كتاب الحيوان، ونشرنا البحث تحت عنوان *"Quelques aspects de la pensee muᶜtazilite d'al-Ǧāḥiẓ selon K. al-Ḥayawān"*, *SI*, 52, 1980 pp. 67-88.

والتي نعلم متى ألفت على وجه التقريب، فاننا سنتمكن من تحديد الفترة التي أخرج بها الجاحظ هذا الكتاب .

واذا ما رجعنا الى كتاب الحيوان ورسالة في نفي التشبيه، حيث وردت اشارات الى هذا الكتاب الذي نحن بصدده، نجد أن الجاحظ يذكره في مقدمة الحيوان ضمن الأعمال التي عابه عليها العائب (خصوم الجاحظ) وفي اطار أعمال الجاحظ الكلامية [١] .

وبما اننا نعلم أن الحيوان كتب في زمن المتوكل [٢] فيكون تأليف الرد على المشبّهة قد سبق هذه الفترة . لكن يتعذر علينا بالاعتماد على الحيوان، أن نحدد متى ألّف بدقّة اكبر .

ولحسن الحظ، يمكن أن نصل الى هذا الهدف اذا ما رجعنا الى رسالة الجاحظ في نفي التشبيه التي وجهها الى أبي الوليد محمد بن أحمد بن أبي دوآد . ففي هذه الرسالة، يعلم الجاحظ المرسل اليه، انه كان قد كتب في الرد على المشبّهة كتابا ثم يصف له باختصار منهجه فيه، ويسأله "أن يرى هذا الكتاب ويقرأ ما خفّ عليه منه، فان وجده صالحا وجديرا بالنشر، حثّ على قراءته وعلى اتخاذه وعلى تخليده وعلى تدوينه ونشره" [٣] . ومن خلال كلام الكاتب في هذه الرسالة، نفهم أنها كتبت هي وكتاب في الرد على المشبّهة في خلافة المعتصم، عندما كان أبو الوليد ما يزال حدثا، يعمل نائبا لأبيه في وظيفة قاضي القضاة [٤] . في السنوات ٢١٨ هـ (٨٣٣ م) الى ٢٢٧ هـ (٨٤١ م)، وليس كما اعتقد الدكتور طه الحاجري في

---

١ ــ الحيوان، الجزء الأول ص ٩ .

٢ ــ الحاجري، الجاحظ، ص ٣٩٧ قارن مع بلات، *Arabica.* ص ١٥٨ .

٣ ــ رسالة في نفي التشبيه، رسائل الجاحظ، الجزء الأول ص ٢٩١ . وانظر: مقدمة شارل بلات للرسالة في مجلة المشرق ١٩٥٣ ص ٢٨٢ .

٤ ــ في نفي التشبيه، رسائل الجاحظ الجزء الأول ص ٢٨٩ ــ ٢٩٥، ٣٠١، ٣٠٦ ــ ٣٠٨ المشرق ١٩٥٣ ص ٢٨٧ ــ ٢٨٩، ٢٩١ ــ ٢٩٢، ٢٩٩ ــ ٣٠٣، وانظر مقدمة بلات لهذه الرسالة هناك ص ٢٨٢ ــ ٢٨٣ عن ابي الوليد وابيه، وانظر: Ch. Pellat, *Aḥmad b. Abī Du'ād*, EI_2, I p. 271

السنوات ٢٣٣ هـ (٨٤٧ م) — ٢٣٦ هـ (٨٥٠ م)، عندما كان أبو الوليد يتولى منصب قاضي القضاة في خلافة المتوكل [١].

كتب الجاحظ كتابه هذا اذن، في فترة شهدت نشاطا ملحوظا من قبل ممثلي السنّة (الحشوية)، الذين كانوا يدافعون عن مذهبهم، ويهاجمون مذهب المعتزلة، بالرغم من وجود المحنة. "فقد صاروا" — كما يقول الجاحظ في هذه الفترة التي فقدوا فيها السلطان والقدرة — "الى المنازعة أميل، وبها أكلف. فمن أعجزه البطش والصولة، يلجأ الى الحيلة والحجّة" [٢]. فانتشرت المناظرات بينهم وبين المعتزلة [٣]، واندفع الجاحظ ليسهم في ذلك، ناشدا ابطال حجج الخصم وترسيخ أقوال وآراء المعتزلة في قلوب العامة والخاصة. كل ذلك لكي يساعد أولي الأمر من المعتزلة، القائمين على امتحان وقمع أهل السنّة، أمثال ابن أبي دوآد وابنه أبي الوليد، ولكي يتقرب اليهم، فألف كتاب في الرّد على المشبّهة، وأهداه للأخير [٤].

العلاقة بين رسالة في نفي التشبيه و كتاب في الرّد على المشبّهة :

أرسل الجاحظ رسالته في نفي التشبيه الى أبي الوليد، لكي يعلمه بوجود في الرّد على المشبّهة، آملا أن تضمن شخصيته نجاحا وانتشارا أكبر للكتاب مما تضمنه شخصية الجاحظ وحدها [٥]. فأمثال الجاحظ من المتكلمين والعلماء عليهم أن يفصحوا عما لديهم من علم، مسجلين ذلك

---

١ — الحاجري، الجاحظ، ٣٠٨، ٣٢٧، ٣٣٤، ٣٤١ — ٣٤٢.

٢ — في نفي التشبيه، رسائل الجاحظ الجزء الأول ص ٢٨٨، المشرق ١٩٥٣ ص ٢٨٦ — ٢٨٧.

٣ — يشهد على أقوال الجاحظ هذه، ما كتبه ابن حنبل والدارمي وابن قتيبة — ممثلو السنة في هذه الفترة — من أعمال يردون فيها على المعتزلة انظر ص ٩٢ — ٩٣ من هذه المقدمة.

٥ — في نفي التشبيه، رسائل الجاحظ، الجزء الأول ص ٢٩١ وانظر مقدمة بلات للرسالة في المشرق ١٩٥٣ ص ٢٨٣.

في كتب تقدم الى أولي الأمر . وعلى هؤلاء أن يدأبوا على نشر الكتب واقناع الناس بالاقبال عليها [١] . وعليه فهذه الرسالة ما هي الا تقديم لكتاب في الرّد على المشبّهة . لذا، نجد الكاتب يتحدث بها عن الملابسات والظروف التي دفعته الى تأليف هذا الكتاب [٢]، ثم يصف باختصار محتوياته ومنهج تأليفه، مستطردا للحديث عن رأيه في الكتابة والكتاب [٣]، حاثا أبا الوليد على قراءته ونشره [٤] . وبعد ذلك يخصص عدة صفحات لمدح أبي الوليد بالرغم من حداثة سنه [٥] ثم يشرح له السبب الذى جعله يقدم الكتاب اليه وليس الى أبيه، أبي عبدالله أحمد بن أبي دوآد، فيقول : "وكان من أسباب رفعي اليك هذا الكتاب، أبقاك الله ــ دون أبي عبدالله ــ أكرمه الله ــ أنكما تجريان في بعض الأمور مجرى واحدا، ولأنك وان كنت كثير الشغل فهو أقل فراغا منك، على كثرة شغلك وفرط عنايتك بما استكفاك واسترعاك ..." [٦] اذن السبب يعود الى كون أبي الوليد أكثر فراغا من أبيه، مما يتيح له الفرصة للاهتمام بالكتاب وقراءته . والجاحظ على يقين، أن ما يصل الى أبي الوليد لا بد أن يصل الى أبيه أيضا . وكاتبنا مهتم بذلك، فهو يريد أن يتقرب من أبي دوآد، لذا "يغتنم ــ كما يقول بلات ــ فرصة نادرة، وهي وضع كتاب في مسألة كلامية لا تهم ابن الزيات بقدر ما تهم قاضي القضاة، لأنها داخلة في صلاحياته . فأبن أبي دوآد كان رئيس المحكمة المنشأة بعد أن صار الاعتزال دينا رسميا وبصفته

---

١ ــ نفس المصادر

٢ ــ في نفي التشبيه رسائل الجاحظ الجزء الأول ص ٢٨٣ ــ ٢٨٩ .

٣ ــ نفس المصدر ص ٢٩١ .

٤ ــ نفس المصدر ص ٢٨٩ ــ ٢٩١ بهذا تقترب هذه الرسالة في مضمونها والهدف منها من القسم المنشور من كتاب الفتيا، رسائل الجاحظ الجزء الأول ص ٢١٣ ــ ٢١٩، والمرسل هو أيضا الى أبي الوليد، فهنا أيضا يعرف الجاحظ بكتابه في الفتيا، الذى لم يصل الينا . أنظر الحاجري، الجاحظ، ص ٣١٢ ــ ٣١٤ . قارن مع مقدمة بلات لرسالة نفي التشبيه، المشرق ١٩٥٣ ص ٢٨٣ .

٥ ــ في نفي التشبيه رسائل الجاحظ الجزء الأول ص ٢٩٤ ــ ٣٠٢ .

٦ ــ نفس المصدر ص ٣٠٣ .

هذه كان عليه أن يقمع كل مخالفه ويمتحن المتهمين والمرتابين ويكافح النظريات والمذاهب المعادية للعقيدة الرسمية ويقنع أصحاب السنة والحشوية الذين يعارضون المعتزلة"[١] .

والجاحظ يرمي من وراء ذلك ـ ليس فقط الى مساعدة أولي الأمر، بل أيضا الى التقرب منهم والى نيل حسناتهم وصلاتهم[٢] . وكاتبنا لا ينسى بعد ان ذكر قاضي القضاة وابنه مادحا لهما، ان يمدح ولي نعمتهما، الخليفة المعتصم منهيا رسالته بذلك[٣] .

أهمية الرسالة اذن، تكمن ليس في كونها وثيقة تاريخية تشرح لنا أسباب توجه الجاحظ للكتابة في هذا الموضوع وفي غيره من المواضيع الاعتزالية الكلامية فحسب، بل في كونها قد احتوت على وصف الكاتب لكتابه في الرّد على المشبّهة، ولمحتوياته، الأمر الذى يتيح لنا اليوم أن نقول مطمئنين، ومع مزيد الأسف، ان ما وصل الينا من كتاب في الرّد على المشبّهة، لا يشكل الا جزءا من هذا الكتاب وان من اختار هذه المقطوعات منه، أهمل "الأشعار الصحيحة والأمثال السائرة" وأجزاء أخرى كان الجاحظ قد أودعها الكتاب لكي تساعده على تبيان مذهبه في نفي التشبيه، وعلى الرد على المشبّهة، لكن هذا لا يعني أن الكتاب كان كبيرا مطولا، بل انه كان كما يقول الجاحظ، كتابا صغيرا . فالجاحظ يقول في وصفه : "وقد كتبت ـ أمد الله في عمرك ـ في الرد على المشبّهة كتابا ... وقد بينت ذلك بالوجوه القريبة والدلالات المختصرة بالأشعار الصحيحة والأمثال السائرة واستشهدت الكلام المعروف، والقياس على الموجود ... وهو مع ذلك كتاب قصد ومقدار عدل لم يفضل عن الحاجة، ولم يقصّر عن مقدار البغية"[٤] . فالنصوص التي وصلتنا من هذا الكتاب،

---

١ ـ مقدمة بلات للرسالة في المشرق ١٩٥٣ ص ٢٨٣ .

٢ ـ نفس المصدر . وهو يعتمد بلا شك على ما قاله الجاحظ في الرسالة، رسائل الجاحظ الجزء الأول، ص ٣٠٣ .

٣ ـ رسائل الجاحظ الجزء الأول ص ٣٠٦ ـ ٣٠٨ .

٤ ـ نفس المصدر ص ٢٨٩ .

لا تحتوى على أبيات من الشعر ولا على الأمثال السائرة • والى أن تظهر مخطوطة أكمل للكتاب، فاننا سنكتفي بما لدينا، وذلك لأهمية هذا النص •

أهميــة الكتــاب :

في الرّد على المشبّهة، وثيقة من أقدم الوثائق الاعتزالية التي دونت والتي نقلت صدى ذلك الجدل حول موضوع الذات والصفات الالـهية • وهو ــ بعد يحتوي على موقف الجاحظ الخاص من الموضوع •

والحقيقة، أن ما بين أيدينا من الكتاب، وان كان ناقصا، فانه يكفي لايضاح هذا الموقف وتحديده، واطلاعنا على نماذج من هذا النوع من المناظرات التي كانت تدور بين المعتزلة وخصومهم حول هذا الموضوع • فالنص يظهر بشكل واضح أن ما نجده في كتب الفرق والكلام المتقدمة أو المتأخرة، من أقوال منسوبة الى هذه الفئة أو تلك، في موضوع التشبيه والتنزيه، صحيح، ولم ينسب لهم اعتباطا، مما يزيد من شعور الباحثين بأمانة كتّاب الكلام عندما ينسبون الى خصومهم أقوالا معينة • فنسبة هذا الكلام لم يكن لأنه يسهل ابطاله، أو يسهل أن يقاس عليه ما ينقضه ويحيله، بل لأنه كان قد قيل فعلا • نقول هذا ونصب أعيننا ما سبق وأشرنا اليه من الأعمال التي تعود الى نفس هذه الفترة الزمنية مع تفاوت بسيط في الزمن والتي خصصت لموضوع الذات والصفات الالـهية، او اهتمت به، وهي تعكس كما سبق وذكرنا صدى ذلك الجدل بين السنّة والمعتزلة حول الموضوع [1] • لكن مع هذا لا يمكن أن نشير بشكل قاطع، الى علاقات سببية مباشرة بين هذه الكتب، ويصعب الزعم أن بعضها كان ردا مباشرا على بعض منها • الا أن وجود أعمال ابن حنبل والدارمي وابن قتيبة، والأشعري فيما بعد، يساعد بلا شك، على تحقيق وتفهم كتاب الجاحظ على الوجه الأتم، والعكس صحيح أيضا •

١ــ أنظر ص ٩٢ ــ ٩٣ من مقدمتنا •

والسوءال الذى يطرح نفسه في نهاية الأمر هو : ما مدى اسهام الجاحظ في تكوين وتشكيل آراء ومواقف المعتزلة التي تظهر في كتابه هنا ؟

ليس من الصعب الاجابة على هذا السوءال، اذ من الواضح أن آراء ومواقف المعتزلة هذه كانت قد اتضحت معالمها لدى شيوخ الجاحظ منهم . ولذا هوجمت من قبل السنة فقام الجاحظ بالدفاع عنها . فمساهمة الجاحظ اذن لن نجدها في مجال التكوين والتشكيل للاراء، بل في مجال آخر، لا يمكن بأى حال من الأحوال تجاهل أهميته وخطورته، وهو مجال عرض، شرح وبرهنة صحة هذه المواقف، والدفاع عنها أمام هجوم الخصم مع ابطال حجج هذا الأخير[1] . هنا بالذات تظهر أصالة الجاحظ ومقدرته الجدلية، وهنا أيضا تكمن أهمية الكتاب، الى جانب كونه وثيقة اعتزالية جاحظية قديمة .

مبنى الكتاب ومنهج الجاحظ فيه :

لعل الجاحظ أشهر الكتاب العرب الذين تنبهوا جيدا للمناظرات التي كانت تجري في بيئته بين الفرق والمذاهب المتنازعة حول مواضيع دينية ودنيوية مختلفة، فسجل لنا قسما منها في رسائله الأولى كما انعكس تأثيرها على انتاجه فكرا ومنهجا وأسلوبا[٢] .

لكن هذا الكاتب يظهر في كتبه وكأنه يدرك تمام الادراك انه ليس في حلقة المناظرة بل أمام تسجيل وبحث حقائق هامة يعرضها على القارئ المعاصر، القريب والبعيد، وعلى قارئ المستقبل . كما ويدرك أيضا أهمية

---

١ – قارن مع الانتصار ص ٢٥ .

٢ – أنظر الحاجري، الجاحظ، ص ٦٧ – ٧٦، ١٧٤، ٢٨٨ – ٣٠٢، ٤٢٦ – ٤٢٧، وكذلك عبد الحكيم بلبع، النثر الفني وأثر الجاحظ فيه، مكتبة الانجلو مصرية ١٩٥٤ ص ٢٠٢ – ٢٥٦ . وديعة طه النجم، الجاحظ والحاضرة العباسية ص ٨ – ٩، شلحت، النزعة الكلامية في أسلوب الجاحظ، والباب الثاني خاصة ص ٩١ – ٩٥، ١٠٨ – ١٢٥ . وانظر أيضا كتابنا : Un genre littéraire arabe, pp. 19-58

الكتاب ووظيفته في نشر المعرفة بشكل عام ونشر الاراء الخاصة والدعوة الى اتباعها، بشكل خاص[١].

لذا فانه لا يغفل بحث جوهر الموضوع بحثا موضوعيا منطقيا بحدّ ذاته موضحا ومبينا موقفه منه ومفهومه له وأسباب ذلك، ناشدا اشراك القارئ في تبني هذا الموقف أو المفهوم بعد أن يدرك العلل والأسباب.

ولعل خير مثال لذلك هو كتاب الحيوان حيث يعرض الجاحظ مذهبه في العدل الالهي وأفعال الانسان وغير ذلك من المواضيع الكلامية[٢]. وكتاب المسائل والجوابات في المعرفة، حيث يستعرض آراء غيره من شيوخ المعتزلة في المعرفة ثم يفندها ويثبت نظريته الخاصة في هذا الموضوع[٣]. وكذلك كتاب في الرد على المشبّهة، الذي نحن بصدده، فالكاتب لا يكتفي بمجادلة الخصوم حول تفسير الآيات المركزية المعتمدة كشواهد في هذا الموضوع، بل انه يبدا الكتاب بالاشارة الى أن التجسيم والتشبيه يقدحان في عقيدة التوحيد. وعليه فالقائل بهما لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يعتبر من الموحدين، وانه لا فرق في ذلك بين القائل بالتجسيم بكيفية أو بلا كيفية[٤]. ذلك لأنه يوجد تناقض بين التوحيد من جهة وكل من التجسيم من جهة أخرى، تماما كما يوجد تناقض بين أقوال من يقول: عندي مائة ناقة ولكن ليس عندي عشر نوق، أو من يقول شربت المدامة ولم أشرب الخمر، أو من يقول: ركبت عيرا ولم أركب حمارا[٥].

١ – الحيوان الجزء الأول ص ٤٧ – ٥٢ "القنا". رسائل الجاحظ الجزء الأول ص ٣١٤ – ٣١٦ "المعاش والمعاد" هناك ص ٩٧ – ٩٨" ورسالة في نفي التشبيه. هناك ص ٢٩١.

٢ – هذا ما أثبتناه في مقالنا عن "الجاحظية" الذي نشر في مجلة SI عدد ٥٢ ص ٦٧ – ٨٨.

٣ – المسائل والجوابات في المعرفة. في مجلة المشرق ١٩٦٩ ص ٢١٦ – ٣٢٦.

٤ – في الرد على المشبّهة. ص ١٠٩. هذا هو مذهب أهل العدل والتوحيد الذين، حسب رأي ابن قتيبة، نفوا التشبيه عن الخالق وأبطلوا الصفات لأنهم أرادوا تصحيح التوحيد. أنظر: الاختلاف في اللفظ. ص ٢٢. قارن مع صبحي، علم الكلام. ص ٨٥ – ٩٤.

٥ – في الرد على المشبّهة ص ١٠٩ – ١١٠.

وبعد ذلك يعود الجاحظ ليتبع أسلوب الجدل المعروف في كتب الكـلام ٠

المرحلة الأولى [١] :

يستعرض الكاتب أقوال أصحاب الروءية، وشواهدهم ويرد عليهم مفندا لها ٠ ويدور الجدل هنا حول الايتين "لا تدركه الأبصار" [٢] و "وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة" [٣] حول العلاقة بينهما، وحول مدلولهما، وخاصة مدلول كلمة ناظرة، التي تعني بالنسبة للسنة الروءية، في حين أنها تعني بالنسبة للجاحظ والمعتزلة، الانتظار ٠ وعليه فهذه الاية لا تعبر عن استثناء الاخرة من حكم الاية "لا تدركه الأبصار" كما اعتقدت السنة ٠

المرحلة الثانية [٤] :

وبعد ذلك يأخذ الجاحظ بمجادلة الخصوم حول دلائل بعض الآيات القرآنية، التي تثبت، في نظره، وحسب تأويله وفهمه لها، ان الله لا يرى ولا يتحرك وانه ليس بجسم ٠ يستشهد بآية قرآنية تشير الى عدم امكانية روءية الله في الدنيا وفي الاخرة (الاية ١٥٣ من سورة النساء) "يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا، أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم ٠٠٠ الآية" ويذهب الى القول بأن نفي الروءية في هذه الآية، يثبت عدم صحة مذهب القائلين بالروءية الحسية والروءية بلا كيف ٠

والظاهر أن ممثلي السنة حاولوا تفسير هذه الآية التي اعتمد عليها المعتزلة في نفي الروءية، تفسيرا خاصا يجعلها عديمة الدلالة على نفي

---

١ ــ المصدر السابق ص ١١١ ــ ١١٧ ٠ ٢ ــ قرآن، سورة الأنعام (٦) آية ١٠٣ ٠

٣ ــ قرآن،سورة القيامة (٧٥) آية ٢٢ ٠

٤ ــ في الرد على المشبّهة ص ١١٧ ــ ١٢١ ٠

الرؤية . فغضب الله المعبر عنه في هذه الآية ـ وفي الآية ٥٥ من سورة البقرة ـ لم يكن سببه مجرد طلب اليهود رؤية الله، بل ذلك بسبب طلب الرؤية في الدنيا، أو بسبب التقدم بين يدى الله (التجروء عليه) أو بسبب طلب رؤية الله جهارا [١] .

لذا فالجاحظ يهتم بتفنيد هذه الأقوال أو باثبات عدم صحتها، مبرهنا أن الغضب كان لمجرد طلب الرؤية [٢] .

المرحلة الثالثة [٣] :

ثم يعود الجاحظ الى مجادلة حجج وشواهد يتخذها المجسمة والمشبهة من القرآن، لاثبات مذهبهم في رؤية الله وتحركه، بشكل خاص، وفي التجسيم والتشبيه بشكل عام، ويثبت مؤولا لها، انها لا تدل على صحة ما يذهبون اليـه .

وهذه الآيات هي : "وجاء ربك والملك صفا صفا" [٤]، "هو الله في السماوات والأرض" [٥]، فالسنة تفهم من دلالة هاتين الآيتين، ومن قول المعتزلة المعتمد على الآية الثانية، "ان الله موجود في كل مكان"، ان لله جسما وانه يتحرك . ذلك لأن الله لا يخاطب عباده الا بما يفهمونه، وبما أنه يعبر بصراحة هنا عن المجيء من ناحية، ومن ناحية أخرى انه متواجد في مكان ـ محدود حسب قولهم ـ فهذا يعني انه بالفعل يأتي، ويتواجد حسيا (بكيف أو بلا كيف) .

ورد الجاحظ على أقوالهم هذه يعتمد في الأساس على التفسير المجازي لكلمتي المجيء والتواجد، وهذا المعنى المجازي بعيد كل البعد من المعنى الحسي، وعليه فالآيتان لا تدعمان رأي السنة في التجسيم،

---

١ ـ نفس المصدر ص ١١٧ ـ ١١٩ .
٢ ـ نفس المصدر ص ١١٧ ـ ١٢١ .
٣ ـ نفس المصدر ص ١٢٢ ـ ١٢٥ .
٤ ـ قرآن، سورة الفجر (٨٩) آية ٢٢ .
٥ ـ قرآن، سورة الأنعام (٦) آية ٣ .

لأنهما لا تدلان على تحرك وتواجد حسيين • وكأننا بالجاحظ يشعر بأن اعتماده على المجاز هنا قد يشكل مجالا لطعن السنة، لذا فهو يحاول، ناجحا، أن يحصل على اعتراف منهم، بأنهم عندما تتعارض الآية مع مفهوم الله، يأوّلون الآية مفضلين المعنى المجازي لكلماتها (أو لبعض كلماتها) على المعنى الحقيقي الظاهر • فاذا كان هذا دأبهم وهذه عادتهم في بعض الأحوال، فلماذا يأخذون على المعتزلة لجوءها الى مثل هذا الأسلوب في تفسير وتأويل النظر والتواجد، والمجيء، لماذا لا يقبلون في هذه الحالات أيضا التفسير المجازى بدل التفسير الحقيقي الظاهر ؟

ولكي يدعم أقواله هذه، يورد الجاحظ بعض الأمثلة التي تستعمل فيها العرب كلمات المجيء والتواجد استعمالا مجازيا [١] •

والظاهر أن اللجوء الى مثل هذا النوع من المادة الأدبية اللغوية لم يقتصر على هذا الموضع بالذات من الكتاب، فالجاحظ يخبرنا في رسالته في نفي التشبيه [٢]، انه استعان في مجال محاولاته الرد على المشبهة، بالأشعار الصحيحة والأمثال السائرة • لكن هذه المادة اللغوية الأدبية، لم تصل الينا ضمن ما وصل الينا من الكتاب ويبدو أنها أهملت من قبل عبيد الله بن حسان الذي اختار ــ كعادته في كتب ورسائل جاحظية أخرى ــ ما وجد أنه هام ومركزي وجدير بالاختيار من الكلام • ومن لم يقتنع من الأمثلة القليلة الباقية في الكتاب، ويتساءل عن وظيفة مثل هذه

---

١ ــ في الرد على المشبّهة ص ١٢٤ ــ ١٢٥ التراوح بين حمل اللفظ على ظاهره وحمله على باطنه، يظهر بشكل واضح في كتاب الحيوان، أنظر شفيق جبري، الجاحظ معلم العقل والأدب، فصل : "مذهب الجاحظ في التفسير والتأويل، ص ١٧٦ ــ ١٨٣ وخاصة ١٨١ ــ ١٨٣ • وجدير بالذكر "أن ابن قتيبة يتحرر هو أيضا، أحيانا ويخرج عن التقاليد السنيّة، فيعارض بعض المفسرين والظاهريين من اللغويين في تحكمهم اللفظي ويقرر أن لغتنا مليئة بالمجاز"، فيؤول الآيات أحيانا بدل حملها على ظاهر الكلام" • أنظر محمد زغلول سلام، ابن قتيبة، القاهرة ١٩٦٥ ص ٣٧ ــ ٣٩، ٤١ ــ ٤٢ وهذا يشهد على أن ما قاله الجاحظ بالنسبة لميل السنة أحيانا الى التأويل صحيح، وانظر : G. Lecomte, *Ibn Qutayba*, pp. 294-301.

المادة اللغوية الأدبية في مثل هذا المجال، فعليه أن يرجع الى كتب الاختلاف في اللفظ، لابن قتيبة، والابانة للأشعري، بل الى كتب التفسير ـ كتفسير الطبري والزمخشري مثلا، لكي يقف على هذه الظاهرة، التي يراد منها الاستشهاد بشواهد شعرية ولغوية لاثبات هذا المعنى أو ذاك، لكلمة مختلف عليها في آية من الايات .

هذه هي، اذن، المراحل الثلاث بين الجاحظ وخصومه . وكاتبنا يطبق في كل هذا مذهبه الذي أعلن عنه في كتاب ألفه في نفس الفترة التي ألف فيها الرد على المشبهة، وقدّمه، هو أيضا، الى أبي الوليد ابن أبي دوآد، ونقصد كتاب الفتيا حيث يقول : "ولا عذر لمن كتب كتابا وقد غاب عنه خصمه وقد تكفل بالاخبار عنه، في ترك الحيطة له، والقيام بكل ما احتمله قوله . كما انه لا عذر له في التقصير عن فساد كل قول خالف عليه، وضاد مذهبه، عند من قرأ كتابه وتفهم ادخاله . لأن أقل ما يزيل عذره ويزيح علّته، ان قول خصمه قد استهدف لخصمه، واصحر للسانه، ومكّنه من نفسه، وسلّطه على اظهار عورته . فاذا استراح واضع الكتاب من شغب خصمه ومداراة جليسه، فلم يبق الا أن يقوى على كسر الباطل أو يعجز عنه" [١] . فالجاحظ يحتاط جيدا لأقوال الخصم وحججه، ويرد عليها، ولا يقصر عن اظهار فسادها، محاولا "كسر الباطل" واثبات صحة مذهب الاعتزال : ففي المرحلة الأولى يرد الجاحظ على الحجج والشواهد التي يقدمها الخصم لاثبات مذهبه، فيفندها ويبرهن بطلانها .

وفي الثانية، يقدم حججه وشواهده هو، يجادل من اعترض عليها وهاجمها، دافعا اعتراضاته وهجومه .

وفي الثالثة يعود ليرد على حجج وشواهد أخرى قدمها الخصم، ويبرهن عدم صحتها .

فصول من كتاب

في الرد على المشبهة

(النّص)

فصل من صدر كتابه
في الرد على المشبهة [1]

أما بعد، فقد اختلف أهل الصّلاة في معنى التّوحيد وان كانوا قد أجمعوا على انتحال اسمه. فليس يكون كلّ من انتحل اسم التّوحيد موّحدا اذا جعل الواحد ذا أجزاء، وشبّهه بشيء[2] ذي أجزاء. ولو أن زاعما زعم أن أحدا لا يكون مشبّها، وان زعم أن الله يرى[3] بالعيون ويوجد ببعض الحواس، حتى يزعم أنه يرى كما يرى الانسان، ويدرك كما تدرك الألوان، كان كمن قال لا يكون العبد لله مكذّبا وان زعم انه يقول ما لا يفعل، حتى يزعم انه يكذب، ولا يكون العبد لله مجوّرا[4] وان زعم انه يعذّب من لم يعطه[5] السّبب الذي به ينال طاعته، حتى يزعم انه يجور [6] [/1].

---

1 — في الأصل: الذب على المشبّهة. وفي ل: الرّد على المشبه به، وصوابه ما أثبتناه من كتاب الحيوان، الجزء الأول ص ٩، ورسالة في نفي التشبيه، رسائل الجاحظ، الجزء الأول، ص ٢٨٩، والخياط، كتاب الانتصار، تحقيق البير نادر، بيروت ١٩٥٧ ص ٢٥.

2 — في ل: لشيء. 3 — في الأصل: يراى. 4 — في ل: محررا.

5 — في ل: يعطيه. 6 — في المخطوطين: يجوز.

---

١ — يظهر أن الجاحظ مهتم هنا بالرّد ليس فقط على المجسمة والمشبّهة الحسيين بل في الأساس على المشبهة والمجسمة بلا كيف. ذلك لأن بعض ممثلي هذه الفئة الثانية، كابن قتيبة، مثلا، هاجم الفئة الأولى، محاولا ابعاد اسم المجسّمة والمشبّهة عن جماعته هو. انظر ابن قتيبة، الاختلاف باللفظ والرد على الجهمية والمشبّهة.. فيرد الجاحظ عليه قائلا ان من يزعم بأن الله يرى بالعيون ويوجد بالحواس — بلا كيف — مشبّه تماما كمن يقول =

ولو أن رجلا قال : لفلان عندي جزر مائة، كان عندنا كقوله[1] : ٧٣ظ/ لفلان عشرة (١) ، وكذلك اذا قال :/ فلان ناقض في كلامه فهو عندنا كقوله : فلان[2] قد أحال في كلامه . ولو قال : ناقض ولم يحل[3]، وله عندي جزر مائة وليس له عندي عشرة، كان كالذي يقول : ركبت عيرا ولم أركب حمارا، وشربت المدامة ولم أشرب خمرا ١ .

وللمعاني دلالات وأسماء فمن دلّ على المعنى بواحدة منها، وباسم من أسمائها، لم نسأله أن يوفينا الجميع وأن يأتي[4] على الكلّ، ولم يلتفت الى منع ما منع، اذا كان الذي منع مثل الذي أعطى، وقد أنبأ

1 – في الأصل : لقوله .
2 – في ل : لفلان .
3 – في المخطوطين : يخل .
4 – في المخطوطين : نأتي .

= الله يرى كما يرى الانسان ويدرك كما تدرك الالوان . ومن يعتقد خلاف ذلك يكون كمن يقول ان المجوّر والمكذّب هو فقط ذلك الانسان الذي يصرح قائلا ان الله جائر وكاذب، أما من يقول بان الله يعذّب الأطفال والمجانين والذين لا يدخلون في عداد المكلفين، وان الله يقول ما لا يفعل، فهو ليس مجوّرا ولا مكذبا . وموقف الجاحظ من ذلك واضح معروف، فهو يعتبر كلا الشخصين مجورين مكذبين . فالله لا يعاقب الا من يدخل في عداد المكلفين، ذلك الانسان الذي هيّئ وعبّئ بحيث يكون تكليفه غير جائر . انظر المسائل والجوابات في المعرفة، تحقيق شارل بلات، مجلة المشرق، أيار، حزيران ١٩٦٩ ص ٢٢٤ – ٢٢٦، والنابتة، رسائل الجاحظ الجزء الثاني، تحقيق عبد السلام هارون القاهرة – ص ١٤ – ١٥، ١٨ .

١ – يستعين الجاحظ بهذه الجمل لكي يقول ان من يعترف بالكل ثم ينفي بعض أجزاء هذا الكل، مخطئ تماما كمن يقول ركبت عيرا ولم اركب حمارا او شربت المدامة ولم أشرب الخمرة الخ . . وبهذا يشير الى الخطأ، بل الى التناقض الذي يقع فيه السنّة الذين يقولون من ناحية انهم موحدون، ومن ناحية ثانية يشبّهون الله بخلقه (ويتحدثون عن رؤيته ويثبتون له جسما وحركة الخ . .) وكل هذا يناقض طبعا قولهم بالتوحيد، فالتوحيد هو الكل وهذه الأمور هي الأجزاء . فعندما يقول الله انه "ليس كمثله شيء" فهو ينفي كل هذه التفاصيل عنه، دون ان تكون هناك حاجة الى الاشارة الى كل واحد منها على حدة . لأن نفي الكل يعني نفي كل اجزاء هذا الكل . .

الله عن نفسه على لسان نبيّه، صلى الله عليه وسلم [1]، فقال : "ليس كمثله شيء" [١] فاقرّ القوم بظاهر هذا الكلام، ثم جعلوه في المعنى يشبه كلّ شيء، اذ جعلوه جسما، فقد جعلوه محدثا ومخلوقا . لأن دلالة الحدث، والشهادة على التّدبير، ثابتان في الأجسام . وانما لزمها [2] ذلك لأنها [3] اجسام لا لغير ذلك . لأن الجسم انما [4] تحرّك، وسكن، وعجز، وقوي، وبقي، وفني، وزاد، ونقص، ومازج الأجسام، وتخلّص [5] لأنّه جسم . ولولا أنه جسم لاستحال [6] ذلك منه ولما جاز عليه هذه الأمور التي أوجبتها الجسمية، وهي [7] الدّالة [8] على حدوث الأجسام . فواجب أن يكون كلّ جسم كذلك، اذا كانت الأجسام مستوية في الجسمية [9]، واذا كان كل جسم منها أيضا لزمه ذلك لأنه [جسم] [10] فقط .

وقد اختلف أصحاب التّشبيه في مذاهب التّشبيه . فقال بعضهم نقول [11] انه جسم، وكلّ جسم طويل [٢] . وقال آخرون نقول [11] انه جسم ولا نقول [11] انه طويل، لأنا انّما جعلناه جسما لنخرجه من باب العدم، اذ

---

1 — سقطت من الأصل .
2 — في المخطوطين : لزمهما .
3 — في ل : لأنهما .
4 — في ل : اذا .
5 — في الأصل : تحلص، بالحاء المهملة .
6 — في ل : لا استحال .
7 — في ل : الجسيمة هي .
8 — في الأصل : للدلالة .
9 — في ل : الجسيمة .
10 — زيادة يقتضيها النص .
11 — في المخطوطين : يقول .

---

١ — قرآن، سورة الشورى (٤٢) آية ١١ .

٢ — قارن مع النابتة، رسائل الجاحظ، الجزء الثاني، ص ١٨ . اشارة الى المتطرفين من المشبهة . ويشير اليهم ابن قتيبة في كتابه : الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبّهة، ويقف منهم موقف المعارض . ص ٣٠، ٤٥ وانظر مقالات الاسلاميين، ٣١ — ٣٥، ٥١٨ .

كنّا متى أخبرنا عن شيء فقد جلعناه معقولا متوهما . ولا معقول، ولا متوهّم الا الجسم . وليست بنا حاجة الى أن نجعله طويلا، وليس في كونه جسما ايجاب لأن[1] يكون طويلا . لأن الجسم يكون طويلا وغير طويل، كالمدوّر، والمثلّث، والمربّع، وغير ذلك . ولا يكون الشيء الا معقولا ولا المعقول الا جسما . فلذلك جعلناه جسما ولم نجعله طويلا[١] . فينبغي – يرحمك الله – لصاحب هذه المقالة ان لم يجعله طويلا أن يجعله عريضا، وان لم يجعله عريضا أن يجعله مدوّرا، وان لم يجعله مدوّرا أن يجعله مثلّثا، وان لم يجعله مثلّثا أن يجعله مربّعا، وان أقرّ بهيئة من الهيئات فقد دخل فيما كره، ولا أعلم المدوّر، والمثلّث، والمربّع، والمخمّس، والمصلّب، والمزوّى[2]، وغير ذلك من الهيآت، الا أشنع في اللفظ وأحقر في الوهم .

... وقال أصحاب الرؤية : اعتللتم علينا بقول الله تعالى : "لا تدركه، الأبصار وهو يدرك الأبصار"[٢] وقلتم : هذه الاية مبهمة وخرجت

---

1 – في الأصل : لا .
2 – في الأصل : المروى، بالراء المهملة .

---

١ – قارن مع النابتة ص ١٨ . هذه اشارة الى المجسمة والمشبهة بلا كيف، مذهب أهل السنة الذي يعرضه ابن قتيبة في كتبه، الاختلاف في اللفظ، ص ٣٠، ٤٥ – ٤٧، وفي تأويل مختلف الحديث، ٢٠٨، ٢٢١ .
والذي يعرضه الأشعري في كتبه مقالات الاسلاميين، ص ٢٩٠ . والابانة عن أصول الديانة، ٨ – ٩، (٤٩ – ٥٠) . وانظر صبحي، في علم الكلام، ص ١٩٧ – ١٩٩ حيث يتحدث عن مذهب الأشعري في الرؤية .
اما رأي الماتريدي في الرؤية، فانه مشروح في كتاب محمد ابي زهرة، تاريخ المذاهب الاسلامية، الجزء الأول، القاهرة د.ت. ص ٢٢٢
وأشار Subhan في مقاله عن موقف المعتزلة من رؤية الله، الى مواقف ائمة السنة، الأشعري ومن بعده من هذا الموضوع، *IC*, pp. 425-8.

٢ – قرآن، سورة الأنعام (٦) آية ١٠٣ .

مخرج العموم، والعامّ غير الخاصّ . وقد صدقتم[1] . كذلك العامّ الى أن يخصه الله بآية أخرى . وذلك ان الله، تعالى، لو كان قال : "لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار" ثم لم يقل: "وجوه يومئذ ناضرة الى ربّها ناظرة" [٢]، لعلمنا أنه قد استثنى الاخرة[1] من جميع الأبصار . قالوا : وانما ذلك مثل قوله : "قل لا يعلم من في السّماوات والأرض الغيب الاّ الله" [٣] . ومثل قوله: "وما كان الله ليطلعكم على الغيب" [٤] . وهذه الأخبار مبهمة عامّـة . فلما قال: "تلك من أنباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا" [٥]، ولما[2] قال أيضا: "ولا يحيطون بشيء من علمه الاّ بما شاء" [٦]، علمنا أنّ القول الثاني قد خصّ القول الأول، وكذلك أيضا قوله: "وجوه يومئذ ناضرة الى ربّها ناظرة" قد خصّ قوله[3] : "لا تدركه

1 ــ في ل : آخـر .
2 ــ في المخطوطين : ولو . وفي كتاب الحاجري، الجاحظ حياته وآثاره، حيث يورد جزءا من هذا النص : لما. لكنه للأسف، لا يفصح عن المصدر الذي اعتمد عليه في ذلك، كما انه لم يشر الى ان هذا تصحيح يقترحه هو .
3 ــ الاية مع جملة: "قد خص قوله" سقطتا من ل، وذلك ناتج عن سهو الناسخ وخلطه بين كلمة قوله التي سبقت الاية، ونفس الكلمة في نهاية الجملة التي تلتها .

١ ــ يورد القاضي عبد الجبار هذا الجدل بشكل مطول، في الجزء الرابع من المغني تحقيق محمد مصطفى حلمي وابو الوفا الغنيمي، باشراف طه حسين، الدار المصرية للتاليف والترجمة، القاهرة، د.ت. ص ١٤٦ ــ ١٥٠، حيث تكون نتيجة الجدل قبول الخصم لتفسير المعتزلة لهذه الاية، كما هي الحال هنا، لكنهم هناك ايضا يذهبون الى ان المنع يكون في الدنيا فقط، أما في الاخرة فلا . وبعد ذلك في ص ١٥٠ ــ ١٦١ يجادلهم عبد الجبار حول ما اذا كان نفي الرؤية في الدنيا والاخرة، كما يذهب هو والمعتزلة، أم في الدنيا فقط، كعقيدة السنّة .
٢ ــ قرآن، سورة القيامة (٧٥) آية ٢٢، ٢٣ .
٣ ــ قرآن، سورة النمل (٢٧) آية ٦٥ .
٤ ــ قرآن، سورة آل عمران (٣) آية ١٧٩ .
٥ ــ قرآن، سورة هود (١١) آية ٤٩، والمعنى في آل عمران (٣) آية ٤٤، ويوسف (١٢) آية ١٠٢ .
٦ ــ قرآن، سورة البقرة (٢) آية ٥٥ .

الأبصار"[١] . قلنا للقوم : انّ الله تعالى لما قال: "تلك[1] من أنباء الغيب نوحيها اليك"[٢] . بعد أن قال: "وما كان الله ليطلعكم على الغيب"،[٣] علمنا أن ذلك استثناء لبعض ما قال : اني لا أطلعكم على الغيب . وهذا الاستثناء لا اختلاف في لفظه، ولا في معناه، ولا يحتمل ظاهر لفظه غير معناه . [وليس كذلك قوله: "وجوه يومئذ ناضرة الى ربّها ناظرة". فمعناه يختلف][2] عندنا وعند خصومنا فيه، أشدّ الاختلاف، وظاهر[3] لفظه يحتمل وجها آخر غير ما ذهبوا اليه . والفقهاء وأصحاب التفسير يختلفون في تأويله، وهم لا يختلفون في تأويل قوله[4]: "تلك من أنباء الغيب نوحيها اليك" . قال : ذكر ابن[5] مهديّ عن سفيان عن منصور عن مجاهد[٤] في

---

1 — في الأصل : ذلك، وفي ل : ذلك ذلك .

2 — اضطرب النص في المخطوطين وذلك لسقوط عبارة من الكلام، نقدر انها كانت بمعنى ما أضفناه لكي يستقيم النص .

3 — في ل : وظه .   4 — سقطت من ل .   5 — في الأصل : بن .

---

١ — قرآن، سورة الأنعام (٦) آية ١٠٣ .   ٢ — قرآن، سورة هود (١١) آية ٤٩ .

٣ — قرآن، سورة آل عمران (٣) آية ١٧٩ .

٤ — مجاهد، ابو الحجاج مجاهد بن جبير المكي، ٢١ — ١٠٤ هـ (٦٤٢ — ٧٢٢ م) احد تلاميذ ابن عباس الثقات، ويبدو انه كان احد قدامى القائلين بالمذهب العقلي في تفسير القرآن . انظر فؤاد سزكين، تاريخ التراث العربي، ترجمة فهمي أبي الفضل المجلد الأول، القاهرة ١٩٧١، ص ١٨٥ حيث يورد أسماء مصادر قديمة تتحدث عن مجاهد . والذي ينقل عنه في هذه السلسلة هو : منصور بن المعتمر وهو احد الذين رووا عن مجاهد وسعيد بن جبير . توفي سنة ١٣٢ هـ (٧٤٩ م) . انظر الذهبي، تذكرة الحفاظ، دار احياء التراث العربي بيروت ١٩٥٦، المجلد الأول، الجزء الأول ص ١٤٢ — ١٤٣، ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب القاهرة ١٣٢٦ هـ الجزء العاشر ص ٣١٢ — ٣١٥، اما سفيان فهو : ابو عبدالله سفيان بن سعيد بن سروق بن حبيب بن رافع بن عبدالله الثوري الكوفي . من ائمة علم الحديث وغيره من العلوم . ٩٥ (٩٦ — ٩٧) — ١٦١ هـ (٧١٣ (٧١٤ — ٧١٥) ٧٧٧ م) انظر ابن خلكان، وفيات الأعيان، المجلد الثاني، ص ١٢٧ — ١٢٨ . تذكرة الحفاظ المجلد الأول، الجزء الأول ص ٢٠٣ — ٢٠٧، أما ابن مهدي، فهو: عبد الرحمن بن مهدي بن حسان بن عبد الرحمن الأزدي الحافظ، العسقلاني، تهذيب التهذيب الجزء السادس ص ٢٧٩ — ٢٨١ .

قوله: "وجوه يومئذ ناضرة الى ربّها ناظرة"، انه قال: تنتظر ثواب ربّها . وذكر ابو معاوية عن اسماعيل بن أبي خالد عن أبي صالح [1] مثل ذلك [٢] . وأبو صالح ومجاهد من كبار أصحاب ابن عباس ومن العلية [1] ومن [2] المتقدّمين

1 — في الأصل: العامة، وفي ل: العاملية .   2 — في الأصل: أو .

١ — ابو صالح السمان، ذكوان المدني، سمع عن ابي هريرة وعائشة وابن عباس . ثقة، من اجلّ الناس واوثقهم . توفي سنة ١٠١ هـ (٧١٩ م) . تذكرة الحفاظ، المجلد الاوّل الجزء الاوّل ص ٩١ . اسماعيل بن ابي خالد، البجلي الاجمسي مولاهم، توفي سنة ١٤٥ هـ وقيل ١٤٦ هـ (٧٦٢ م أو ٧٦٣ م) . تذكرة الحفاظ المجلد الاوّل، الجزء الاوّل ص ١٥٢ — ١٥٤، تهذيب التهذيب الجزء الاوّل ص ٢٩١ — ٢٩٢ . ابو معاوية، محمد بن خازم الكوفي الضرير، حدث عن اسماعيل بن ابي خالد، وحدّث عنه احمد بن حنبل، ١١٣ — ١٩٥ هـ (٧٣١ — ٨١٠ م) . تذكرة الحفاظ المجلد الاوّل الجزء الاوّل ص ٢٩٤ — ٢٩٥، تهذيب التهذيب الجزء التاسع ص ١٣٧ — ١٣٩ .

٢ — هذا هو تفسير (تاويل) المعتزلة لكلمة ناظرة، انظر الزمخشري، الكشاف، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٤٧، ص ٦٢١ — ٦٢٢ . وانظر المغني الجزء الرابع ص ٢١٢ حيث يورد هذا التفسير المنسوب لمجاهد وابي صالح بنفس الاسناد لكن — بالطبع — مع اضافة حلقات متاخرة . سلسلة الاسناد الاولى مكونة من مجاهد، منصور، اسرائيل، عبدالله بن رجاء الهمداني وابو حاتم الرازي . والثانية: ابو صالح، اسماعيل بن ابي خالد، ابو معاوية، احمد بن عبد الجبار العطاردي، الوليد بن ابان في تفسيره . ويروي صاحب المغني روايات اخرى لنفس التفسير، هناك ص ٢١٢ — ٢١٤ ثم يقول: "وقد ذكر شيوخنا هذا التاويل مرويا عن امير المؤمنين (علي)، عليه السلام، ايضا فيجب حمل الاية عليه" المغني الجزء الرابع ص ٢١٤، ثم يتابع في مناقشة الموضوع حتى صفحة ٢١٧ . قارن مع صبحي، في علم الكلام، ص ٩٢ — ٩٣ . عارض ائمة السنة هذا التاويل المعتزلي لكلمة ناظرة، وتصدى ممثولهم المشهورون الى اثبات وبرهنة عدم صحته، عارضين تفسيرهم المعروف الذى يفهم النص على ظاهره . فاحمد بن حنبل، في كتابه، الرد على الجهمية والزنادقة، يفهم ناظرة بمعنى تعاين ربّها في الجنة، الا انه يوافق — في مكان آخر من الكتاب على ان من معاني ناظرة الانتظار، لكنه يضيف: "انها مع ما تنتظر الثواب هي ترى ربّها" ص ٩٥ . قارن هذا مع ما قاله ابو سعيد الدارمي في كتابه، الرد على الجهمية، ص ٥٧ . اما ابن قتيبة، فانه يقول في كتابه، الاختلاف في اللفظ، ص ٣٢ — ٣٣، ان كلمة نظر بمعنى انتظر، كما يفهمها المعتزلة — لا تعدّى بالى بل باللام . اما اذا كانت التعدية =

في التفسير [١] . فهذا فرق بيّن . وبعد ، ففي حجج العقول ان الله لا يشبه الخلق بوجه من الوجوه ، فاذا كان مرئيا فقد أشبهه في أكثر الوجوه1 . واذا كان قولهم في النظر يحتمل ما قلتم وما قال خصمكم ، مع موافقة أبي صالح ومجاهد في التأويل ، وكان ذلك أولى بنفي التّشبيه الذي قد دلّ عليه العقل ، ثم القرآن « "ليس كمثله شيء " ، كان التأويل ما قال

١ـ الجملة : "فاذا كان مرئيا فقد أشبهه في أكثر الوجوه ، سقطت من الأصل .

= بالى ، وهذه هي الحال في الاية ، فانها تعني الرؤية .

اما الاشعري ، فانه يطيل الحديث ، نسبيا ، في مناقشة المعتزلة حول تفسير وفهم هذه الكلمة ، رافضا تاويلهم ومثبتا راي السنة المعروف . ومن بين حججه في ذلك نجد ، الى جانب ما اعتمد عليه ابن قتيبة من موضوع التعديه بالى وباللام ، حججا اخرى اهمها : ان النظر ذكر في هذه الاية مع ذكر الوجه ، لذا فمعناه نظر العينين ، وليس نظر الانتظار الذي بالقلب . خاصة وان "الانتظار معه تنغيص وتكدير ، واهل الجنة لهم في الجنة ما لا عين رات ولا اذن سمعت من العيش السليم والنعيم المقيم . واذا كان هذا هكذا لم يجز أن يكونوا منتظرين " ، لأنهم يحصلون على ما يخطر ببالهم توا . ثم انه لا يمكن ان يكون المعنى هنا نظر الاعتبار ، "لأن الاخرة ليست بدار اعتبار" . وكذلك لا يمكن ان يحمل معنى النظر هنا معنى التعطف ، وهو من معاني النظر ، "لأن الخلق لا يجوز أن يتعطفوا على الله" . ثم انه يرفض معنى المعتزلة لأنه يعني ان المنتظرين ينتظرون غير الله ، لأن الثواب هو غير الله ، ولأن الله قد قال في الاية : "... الى ربها ناظرة" ، ولم يقل الى غير ربها ناظرة . الابانة عن أصول الديانة ، ص ١٣ ـ ١٤ . قارن مع صبحي ، في علم الكلام ، ص ١٩٧ ـ ١٩٩ حيث يتحدث عن موقف الأشعري من رؤية الله يوم القيامة واتساق ذلك مع موقفه من الصفات الخبرية . وهو يعتمد في ذلك على كتاب اللمع .

١ ـ يتبع عبد الجبار نفس الأسلوب في المغني ، لاثبات صحة ما تذهب اليه المعتزلة فيقول : "ومما يبين ذلك (فهم ناظرة بمعنى تنتظر ثواب ربها) حمل ابن عباس ومجاهد وغيرهما الاية عليه وهم من اهل اللسان" المغني الجزء الرابع ص ٢١٥ .

خصمكم دون ما قلتم [١].

... ثم رجع الكلام الى أول المسألة، حيث جعلنا القرآن بيننا قاضيا، واتخذناه حاكما. فقلنا: قد رأينا الله استعظم الرؤية استعظاما شديدا، وغضب على من طلب ذلك وأراده، ثم عذّب عليه وعجّب عباده ممن سأله ذلك، وحذّرهم أن يسلكوا سبيل الماضين، فقال في كتابه لنبيّه صلى الله عليه وسلم [1]: "يسألك أهل الكتاب أن تنزّل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصّاعقة" [٢]. فان كان الله تعالى في الحقيقة يجوز أن يكون مرئيا [2]، وببعض الحواس مدركا، وكان ذلك عليه جائزا، فالقوم انما سألوا أمرا ممكنا، وقد طمعوا في مطمع. فلم غضب هذا الغضب، واستعظم سؤالهم هذا الاستعظام، وضرب به هذا المثل وجعله [3] غاية في الجرأة [4] وفي الاستخفاف بالربوبية؟ فان قالوا: لأن ذلك كان لا يجوز [5] في الدنيا. [قلنا: ولم ذلك] [6] وقدرة الله، تعالى، على ذلك في الدّنيا كقدرته عليه

1 – في الأصل: صلى الله عليه، (بدون سلّم) وكذلك الأمر في أماكن أخرى من النص.

2 – في الأصل: مربيا. 3 – في ل: وجهله. 4 – في ل: الجراءة.

5 – اضطرب النص في المخطوطين: في الأصل، كررت كلمة فان، فأصبحت العبارة: فان قالوا فان لان ذلك كان لا يجوز. وفي ل، أبدلت فاء فان بالكاف فأصبحت: كان، وعليه كانت الجملة هناك: كان قالوا فان ذلك لا يجوز.

6 – اضافة يقتضيها سياق الكلام.

١ – الجاحظ يعترف اذا بأن من معاني "النظر" الرؤية، لكن لما كان من معانيها انتظار الثواب، ولما كان المعنى الثاني هو المعني الذي فهمه أبو صالح ومجاهد ويلائم العقل من جهة والقرآن في قوله: "ليس كمثله شيء"، من جهة أخرى، فانه التأويل الصحيح الذي يقبله والذي يدعو اليه.

٢ – قرآن سورة النساء (٤) آية ١٥٣، قارن مع سورة البقرة (٢) آية ٥٥.

في الاخرة ؟[١] فان قالوا . ليس لذلك استعظم سوءالهم ولكن لأنهم تقدموا بين يديه[1] . قلنا : ولم صار هذا السوءال تقدما عليه واستخفافا به ، والشيء الذي طلبوه[2] هو مجوّز في عقولهم ، وقد أطمعهم فيه أن[3] جوّزوه عندهم ، والقوم لم يسألوا ظلما ولا عبثا ولا محالا ، ومن آداب[4] المسئول[5] التفضّل ، وأنه فاعل ذلك بهم يوما[٢] ؟ فان قالوا : انما صار ذلك الطلب

1 – في الأصل : من بين يديه .
2 – في ل : الذي هو طلبوه .
3 – في الأصل : اذ .
4 – في الأصل : راده . وفي ل : اده .
5 – لي ل : المساول .

١ – يبدو من كلام الجاحظ هذا ، انه يرفض ادعاء من يقول ان الله غضب لأنهم طلبوا روءيته بالدنيا ، وعليه فروءيته في الاخرة جائزة . ذلك لأن ما يقدر عليه الله في الاخرة فهو قادر عليه في الدنيا . يعني ، اذا اتاح لعباده روءيته بالاخرة فجائز أن يتيح لهم ذلك في الدنيا . لذا فغضبه لم يكن لأنهم طلبوا الروءية في الدنيا بل لأنهم طلبوا الروءية على الاطلاق . ويتضح من سياق الكلام في ما يلي ، ان الجاحظ اعتبر جوابه مقنعا لخصمه (او أنهم بالفعل اقتنعوا) لذا فانه ينسب اليهم اربعة أسباب اخرى تفسر غضب الله لذلك الطلب ، محافظة على امكانية الروءية في الاخرة ، لكنه لا يقبلها ، ويبرهن عدم صحتها ، قاصدا من وراء ذلك اثبات كون الغضب حاصلا لمجرد طلب الروءية ، دون تحديد زمن ذلك ومكانه .

٢ – ماذا قصد السنة بقولهم : تقدموا بين يدي الله؟ من خلال رد الجاحظ نفهم انهم يعنون بذلك أن طالبي الروءية تجرأوا على الله واستخفوا به . لكن السوءال : كيف استخفوا به؟ .. يبقى قائما يطلب الحل والتوضيح . اذا ما رجعنا الى كتب ابن قتيبة والدارمي وابن حنبل التي كتبت في تلك الفترة ، لن نجد تفسيرا لذلك . فالاولان لا يلتفتان الى الاية المذكورة اعلاه ، اما الثالث فيرى أن غضب الله حاصل بسبب طلب أهل الكتاب روءيته في الدنيا ، وهذا أمر محال ، ولذا قال الله : "لا تدركه الأبصار" . اي في الدنيا ، الرد على الجهمية ص ٩٥ (هذا التفسير الأول الذي رفضه الجاحظ) . لذا يجب الاستعانة بكتب السنة المتاخرة لكي نلقي الضوء على هذا القول . فها هو الاشعري في كتابه الابانة ، يقول : "فان قال قائل قد استكبر الله سوءال السائلين له ان يرى بالابصار فقال : "يسالك اهل الكتاب ..." الآية ، فيقال لهم : ان بني اسرائيل سالوا روءية الله عزّ وجلّ على طريق الانكار لنبوة موسى ، وترك الايمان به حتى يروا الله . لأنهم قالوا لن نوءمن حتى نرى الله جهرة . فلما سالوه الروءيا على طريق ترك الايمان بموسى عليه السلام ، حتى يريهم الله نفسه ، استعظم الله سوءالهم =

كفرا أو ذنبا عظيما لأنه قد كان قال[1] لهم : اني لا أتجلى لأحد في الدّنيا . قلنا : فلو كان الأمر على ما قلتم ، لكان في تفسير انكاره[2] دليل على[3] ما تقولون ولذكر تقدّمهم بعد البيان . بل قال : " فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة " [١]، لا غير ذلك . فان قالوا : انما غضب عليهم لأنه ليس لأحد أن يظن أن الله تعالى يرى جهرة . قلنا وأيّ شيء تأويل قول القائل رأيت الله جهرة الا المعاينة ، أو باعلان المعاينة ؟ .. قال الله ، عز ذكره : "لا يحبّ الله الجهر بالسّوء من القول " [٢] . والجهر هو الاعلان والرّفع ، والاشاعة . فهل يراه أهل الجنة اذا رفع عنهم الحجب ، ودخلوا عليه ، وجلسوا على الكرسيّ[4] عنده ، الا جهرة كما تأولتم الحديث الذي رويتموه[5] عن النّبيّ ، صلى الله عليه وسلم :

---

1 — في المخطوطين : فقال . 2 — في ل : انكارهم .

3 — الكلمات بعد حرفي الجر : "على" ، سقطت من الأصل ، حيث تابع الناسخ بعد "على" الأولى ، الكلام الموجود بعد "على" الثانية لخلطه ، على ما يظهر ، بين الاثنتين .

4 — في الأصل : الكراسي ، وفي ل : الكرسي .

5 — في ل : رايتموه .

= من غير أن تكون الرؤية مستحيلة عليه ، كما استعظم الله سؤال أهل الكتاب أن ينزل عليهم كتابا من السماء من غير أن يكون ذلك مستحيلا ، ولكن لأنهم أبوا أن يؤمنوا بنبي الله حتى ينزل عليهم من السماء كتابا" . الابانة ص ١٦ . اذن الغضب ناتج عن ربط أهل الكتاب بين الايمان والرؤية واشتراط حصول الثاني لحصول الأول ، وليس مجرد طلب الرؤية . ربما يكون هذا هو الاستخفاف بالله والتقدم بين يديه ، الذي أشار اليه الجاحظ ، رافضا قبوله كتفسير لغضب الله ، لأنه لم يفهمه كما فهمه الأشعري .

١ — قرآن سورة النساء (٤) آية ١٥٣ .

٢ — قرآن سورة النساء (٤) آية ١٤٨ .

"لا تضامون في رؤيته كما لا تضامون في القمر ليلة البدر" ١ . الا أن تزعموا انهم يرون ربّهم سرا ، لأنه ليس الا السرّ والجهر ، وليس الا الاعلان والاخفاء ،/ وليس الا المعاينة . فان قالوا: نحن لا نقول بالمعاينة ، ونقول نراه ولا نقول نعاينه . قلنا: ولم وأنتم ترونه بأعينكم؟ .. فمن جعل لكم

٧٥و/

١ ــ اخرجه البخاري ، صحيح ، نشر ادارة الطباعة المنيرية بمصر ، القاهرة د.ت. ، كتاب مواقيت الصلاة ، وفي : التفسير والتوحيد ، انظر مثلا الجزء الأول ص ٢٣٠ ــ ٢٣١ ، ٢٣٨ ــ ٢٣٩ والجزء التاسع ص ٢٢٨ ــ ٢٢٩ ، وصحيح مسلم ، وقف على طبعه ، محمد فؤاد عبد الباقي ، القاهرة ١٩٥٥ ، المجلد الأول ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، ٣٧ باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما ، حديث رقم ٢١١ و ٢١٢ ، والترمذي ، سنن ، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان ، القاهرة ، ١٩٦٤ ، الجزء الرابع ، صفة الجنة ١٦ باب ما جاء في رؤية الرب ، تبارك وتعالى ، ص ٩٢ ــ ٩٤ . وابن ماجة ، سنن ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، مكتبة البابي الحلبي ، القاهرة ، د.ت. الجزء الأول ، المقدمة ، باب فيما انكرت الجهمية ص ٦٣ ــ ٦٤ وكذلك ابو داوود ، سنن ، المطبعة التازية ، القاهرة د.ت. الجزء الثاني ، باب الرؤية ، ص ٢٧٧ ــ ٢٧٨ . يظهر من خلال هذه الكتب أن الحديث روى عن الرسول بعدة أسانيد وبروايات عديدة لا اختلاف يذكر فيما بينها . ويظهر ذلك أيضا في كتاب الدارمي ، الذي يورد هذا الحديث برواياته وسلاسل اسناده المختلفة ص ٤٦ ــ ٤٧ ، وانظر ابن قتيبة ، الاختلاف في اللفظ ، ص ٣٣ وتأويل مختلف الحديث ، ص ٢٠٥ ــ ٢٠٦ . الا أن القاضي عبد الجبار الذي يورد قسما من هذه الروايات مع الأسانيد يقول : "ان جميع ما رووه وذكروه اخبار آحاد ، لا يجوز قبول ذلك فيما طريقه العلم ، لأن كل واحد من المخبرين يجوز عليه الغلط فيما يخبر به ، ويصح كونه كاذبا فيه ... وانما يعمل بأحاديث الاحاد في فروع الدين ، وما يصح أن يتبع العمل به غالب الظن ، فاما ما عداه فان قبوله فيه لا يصح ، ولذلك لا يرجع اليه في معرفة التوحيد والعدل وسائر اصول الدين ، وذلك يبطل تعلقهم بهذه الأخبار ولو كانت صحيحة السند سليمة من الطعن في الرواة ، فكيف وقد طعن اهل العلم في رواتها ، وذكروا من حالهم ما يمنع الرجوع الى خبرهم" . المغنى الجزء الرابع ص ٢٢٤ ــ ٢٢٥ . ثم يذكر المآخذ التي اخذت على رجال الاسناد المذكورين ، هناك ص ٢٢٦ ــ ٢٢٧ ولا يكتفي القاضي بذلك بل يورد احاديث "معارضة رواها شيوخنا وغيرهم من اهل النقل" تشير الى عدم امكانية رؤية الله . ص ٢٢٨ ــ ٢٣٠ . ثم يقول انه لما تعارضت هذه الأخبار والأحاديث ، وجب الرجوع الى ما دلّ عليه العقل والكتاب ، هناك ص ٢٣٠ . ويعود في النهاية الى الأحاديث ويؤولها تأويلا خاصا تصبح الرؤية فيه بمعنى العلم . هناك ص ٢٣٠ ــ ٢٣٣ . بالرغم من أن الجاحظ لا يعبر بصراحة عن رأيه في أن الحديث غير مقبول ، كما عبر عن ذلك بعض =

أن تقولوا نراه بالعين ومنعكم أن تقولوا نعاينه بالعين؟ .. وهل اشتقت المعاينة الا من العين؟ .. فان قالوا: لا يجوز أن يلفظ بالمعاينة الا في الشيء الذي تقع[1] عينه علي وتقع عيني عليه، فأما اذا كان أحدنا ذا عين والاخر [ليس][2] ذا عين، فغير جائز أن يسمّي الروءية معاينة . وانما المعاينة مثل المخاصمة ولا يجوز أن أقول خاصمت الا وهناك من يخاصمني . قلنا: قد يقول الناس: أسلم فلان حين عاين السّيف، وليس للسيف[3] عين، وليس هناك من يقاتله . على أنكم قد تزعمون ان لله عينا لا كالعيون، ويدا لا كالأيدي وله عين بلا كيف وسمع بلا كيف[١] ... وقالت أيضا المشبّهة :

1 – في الأصل : يقـع .
2 – اضافة يقتضيها سياق الكلام، وبدونها يفسد المعنى .
3 – في الأصل : السيــف .

= معتزلة عصره (الدارمي ص ٥٤ – ٥٦، ٥٨) أو انه حديث آحاد غير مقبول، كما فعل القاضي عبد الجبار، فان القارئ يفهم ان الجاحظ لا يقبل فحوى الحديث، عندما يبرهن بشكل غير مباشر، انه يتناقض مع الاية ١٥٣ من سورة النساء، والكل يعلم ما هو موقف المعتزلة من هذا النوع من الحديث . عن موقف المعتزلة من هذا الحديث انظر مقال Subhan في IC, p. 427 حيث يقول ان المعتزلة اعتبرته حديث آحاد، معتمدا بذلك على ما قاله احمد امين في ضحى الاسلام الجزء الثالث ص ٢٧ – ٢٨ ومشيرا الى أن هذا الأخير لم يفصح عن المصدر القديم الذي اعتمد عليه في قوله هذا . انظر كذلك صبحي، في علم الكلام، الذي يشير الى موقف المعتزلة هذا ولكن دون ان يشير، هو ايضا، الى مصدر قديم اعتمد عليه في ذلك ص ٩٣، ١٩٩ .

١ – من كلام خصم الجاحظ (المشبّهة) يظهر، كما سبق واشرنا الى ذلك، انهم ممن يقولون بلا كيف وانهم يفهمون من انعدام التحديد للجوارح، انعدام وجودها فعليا . لكن الجاحظ لا يقبل ذلك منهم، بل يلزمهم الاعتراف بوجود "عين الله"، لكونهم يزعمون ان لله عين لا كالعيون (بلا كيف) . وعليه يلزمهم القول بالمعاينة . اذن، لا اساس لمحاولة تفسيرهم الرابعة لسبب غضب الله، والتي ترجع هذا الغضب الى كون اهل الكتاب قد طلبوا روءية ومعاينة الله جهرة . فالجاحظ يرفض مذهب القائلين بالروءية بلا كيف لأنه لا توجد روءية بلا معاينة . والمعاينة تعني التجسيم وهذا باطل .. =

الدليل على أنه جسم، قوله، عز ذكره: "وجاء ربّك والملك صفّاً صفّاً" [١]، قالوا: فلا يجوز الى مكان هو فيه، ولو جاز أن يجيء الى مكان هو فيه، جاز أن [1] يخرج منه وهو فيه. فاذا أخبر الله انه في السّماوات والأرض، وقلتم ان الدنيا كلها لا تخلو منه وانه فيها [٢]، فاذا كان الأمر كذلك وكانت الدنيا محدودة، وكان الذي يكون في بعضها أو في كلّها محدودا اذا كان لم يجاوزها، ولو جاوزها لخرج الى مكان، ولا يجوز أن يخرج منها الا الى مكان، وقالوا: قد أخبر الله انه في السّماوات والأرض [٣]، والله لا

---

1 – سقطت من ل.

= اذن – كما يقول الشيخ محمد زاهد الكوثري، محقق وشارح كتاب الاختلاف في اللفظ لابن قتيبة – "هناك ثلاثة مذاهب اساسية في هذا المجال:

١. اثبات الرؤية مع لوازمها في الشاهد، وهو مذهب الحشوية (الذي يعارضه ابن قتيبة والأشعري والمعتزلة طبعا).

٢. اثبات الرؤية مع نفي تلك اللوازم وهذا مذهب اهل الحق (السنة التي يمثلها ابن قتيبة والأشعري).

٣. "نفي الرؤية بدعوى استلزامها للجسمية المستحيلة وهو مذهب المعتزلة".

انظر: الاختلاف في اللفظ هامش ص ٣٤ – ٣٥ وقارن مع النابتة، رسائل الجاحظ، الجزء الثاني، ص ١٨.

١ – قرآن سورة الفجر (٨٩) آية ٢٢.

٢ – يذهب المعتزلة الى أن الله في الأرض والسماء وفيما بينهما، وفوق السماء السابعة العليا، ووراء الأرض السابعة السفلى، لا تحيط به اقطار السماوات والأرضين، وهو المحيط بهن وبما فيهن من المخلوقين. انظر عمارة، المعتزلة ومشكلة الحرية الانسانية، القاهرة ١٩٧١، ص ٥١ حيث ينقل عن رسالة الرد على اهل الزيغ من المشبّهين، في الجزء الثاني من رسائل العدل والتوحيد، اللوحتان ٢٧، ٢٨ من المخطوط. وهذا ما نفهمه من نص الجاحظ.

٣ – اشارة الى الايات ٣ من سورة الأنعام (٦) و ٨٤ من الزخرف (٤٣).

يخاطب عباده الا بما يعقلون ولو خاطبهم بما لا يعقلون لكان قد كلّفهم ما لا يطيقون . ومن خاطب من لا يفي بالفهم عنه، فقد وضع المخاطبة في غير موضعها . فهذا ما قال القوم [1] . ونحن نقول: ان الشيء قد يكون في الشيء على وجوه، وسنذكر لك الوجوه، ونلحق بكلّ واحد منها شكله، وبما يجوز فيه ان شاء الله، تعالى [1] . قلنا للقوم: أليس قد خاطب الله

1 ـ سقطت من الأصل، أو أضافها ناسخ ل، كما فعل في أماكن أخرى من النص، مثلا في كتاب المعلمين، ص ٧٥ .

١ ـ المجسمة تعتمد على تفسير الاية المذكورة أعلاه، وعلى أقوال المعتزلة، لاثبات الجسمية لدى الله، فبما ان الأرض والسماء محدودة، والله يقول "وجاء ربك" معبرا عن المجيء الى مكان، وهذا يعني الخروج من مكان والدخول في مكان، وبما أن الله خاطب عباده بذلك، وهو يخاطبهم بما يعقلون، اذن للّه جسم محدود له أبعاد معروفة . طبعا الجاحظ يرفض هذا القياس قائلا : انه يعتمد على أساس خاطىء : فبالنسبة له، الكون في الشيء لا يعني فقط ما فهموه (كونه محدودا بالمكان)، بل هناك معان أخرى للتواجد في الشيء بدون الجسمية، ووعد الجاحظ أن يذكرها، ولكن للأسف الشديد، لا نجدها في النص الذي وصلنا . لكن بامكاننا تقديرها وفهمها من اشارات أخرى حول موضوع المجيء الذي لا يعني فقط المجيء الحسي، الجسمي الذي فهمه خصوم الجاحظ، بل المجيء المجازي . فمثلا عندما نقول جاءتنا السماء، هذا لا يعني انها انتقلت من مكان الى مكان محاذ لنا بل يريدون المطر، كذلك اذا قالوا جاءتنا السماء بأمر عظيم، فهذا لا يعني أن السماء انتقلت . .
ويعترف الجاحظ انه في هذه الاية، وفي آيات أخرى، يتأول المعنى ولا يفسره على ظاهره الضيق، تماما كما يفعل خصومه من السنة عندما يؤولون معنى الأعمى والأصم قائلين ان معناهما : المتعامي والمتصامم، لكي يتلائم ذلك مع مذهبهم القائل انه من المحال ان يخاطب الله من لا يمكن أن يسمعه أو أن يكلف عباده ما لا يطيقون لأنه بذلك يصبح جائرا، تعالى عن ذلك ! .
ويوجه الجاحظ اليهم سؤالا : لماذا تستعملون هنا المجاز، ولا تسمحون لنا باستعماله في كلمة ناظرة ؟ "وجوابهم" يخدم الجاحظ والمعتزلة : "لكل كلام من كلام اللّه وجهان، اما الأصل (المعنى الحقيقي الظاهر) واما الفرع المعنى المجازي، ويلجأ المفسر الى الأول ما لم يتعارض وأصول الايمان والتصورات الأساسية لله . فاذا ما كان المعنى الظاهر لا يليق بالله حمله المفسّر على المعنى المجازي" . فيقول لهم الجاحظ هذا هو نهجنا في ما سبق من آيات تحدثت عن النظر، ومجيء الرب، وتواجده في السماوات والأرض . والجاحظ في هذا الحوار لا ينسب الكلام الى السنة اعتسافا بل =

الصّمّ البكم الذين لا يعقلون والذين خبّر انّهم لا يستطيعون سمعا؟[١] ..
فان قالوا: ان العرب قد تسمّي[1] المتعامي أعمى، والمتصامم أصمّ، ويقولون
لمن عَمِل عَمَلَ مَن لا يعقل، لا يعقل[2] . وانما الكلام محمول على الكلام
وذلك ان المتعامي اذا تعامى صار في الجهل كالأعمى فلما أشبهه من
وجه، سمي باسمه . قلنا قد صدقتم، ولكن [ذلك][3] ليس/ الأصل، والمستعمل ١ظ/
في تسميتهم بالعمى انما هو الذي لا ناظر له . فاذا قالوا ذلك قلنا: فلم
زعمتم ان له ناظرا وأخذتم بالمجاز والتّشبيه وتركتم الأصل الذي هذا[4]
الاسم محمول عليه ؟ .. فان قالوا: انما قلنا من أجل أن الأول لا يجوز
على الله تعالى، والثاني جائز عليه . والله لا يتكلم بكلام[5] الا ولذلك
الكلام وجه: اما[6] أن يكون هو الأصل، والمحمول عليه، واما أن يكون هو
الفرع، والاشتقاق الذي تسميه العرب مجازا . فاذا نظرنا في كلام الله هو
عندنا عادل غير جائر، وهو، جلّ جلاله، يقول: صمّ، بكم، عمي فهم لا
يعقلون، علمنا انهم لو كانوا منقوصين غير وافرين كانوا قد كلّفوا ما لا
يطيقون، والمكلّف لعباده ما لا يطيقون جائر ظالم . فاذا كان لا يليق ذلك
به علمنا انهم كانوا وافرين غير عاجزين، ولا منقوصين واذا كانوا كذلك،

1 — في الأصل: تسامى .
2 — سقطت من ل "لا يعقل"، الثانية .
3 — اضافة يقتضيها سياق الكلام .
4 — في الأصل: هو . 5 — في الأصل: كلام . 6 — في ل: الا .

= هناك ما يشهد على صحة نسبته اليهم، وذلك في كتب ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن وتأويل مختلف الحديث، انظر محمد زغلول سلام، ابن قتيبة، ص ٣٧ — ٣٩، ٤١ — ٤٢ . وانظر ايضا:

G. Lecomte, *Ibn Qutayba*, pp. 294-301.

١ — اشارة الى الايات ٤٢ من سورة يونس، (١٠) و ١٠٠ سورة الأعراف (٧) .

صار[1] الواجب أن يحكم بالفرع والمجاز، ويدع الأصل والمحمول عليه المجاز، قلنا : هو أعمى، وأصم، ولا يعقل، على أنهم تعاموا وتصامّوا وعملوا عمل من لا يعقل. فاذا قالوا ذلك قلنا لهم: فانا لم نعد هذا المذهب في قوله : "ناظرة" [2]، "وجاء ربّك والملك صفّا صفّا"، وفي قوله : "وهو الله في السماوات والأرض". وقد يقولون: جاءنا فلان بنفسه، ويقولون جاءنا بولده وجاءنا بخير كثير، وذلك على معان[3] مختلفة. ويقولون: جاءتنا السماء بأمر عظيم، والسماء في مكانها. وقد يقولون أيضا : جاءتنا السّماء، وهم انما يريدون الغيم الذي يكون به[4] المطر من شق السّماء وناحيتها ووجهها.

---

1 ـ كتبت العبارة التي تبدأ بهذه الكلمة وتنتهي بعد سطرين بـ : "فاذا قالوا" على هامش الورقة ١٦٠، ظهر، في ل وبخط الناسخ ذاته، عندما تنبه انه كان قد أسقطها، سهوا، من النص.

2 ـ في المخطوطين : ناضرة.

3 ـ في المخطوطين : معاني.

4 ـ سقطت من ل.

المراجع العربية

- الأبشيهي، شهاب الدين أحمد، المستطرف من كل فن مستظرف، القاهرة، د.ت.
- اسماعيل، عز الدين، المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي، بيروت، ١٩٧٥.
- الأشعري، أبو الحسن، ألأبانة عن أصول الديانة، المطبعة المنيرية، القاهرة، ١٣٤٨ هـ.
- " " مقالات الاسلاميين، تحقيق هلموت ريتر، فيسبادن، ١٩٦٣.
- الأصفهاني، أبو الفرج، كتاب الأغاني، طبعة دار الكتب، القاهرة، ١٩٣٥.
- أمين، أحمد، ضحى الاسلام، دار الكتاب العربي، بيروت د.ت.
- الأهواني، أحمد فؤاد، التعليم في رأى القابسي، القاهرة، ١٩٤٥.
- ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله، شرح نهج البلاغة، تحقيق حسن تميم، بيروت، ١٩٦٤.

- ابن الحجاج، مسلم القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، وقف على طبعه: محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة، ١٩٥٥ .
- ابن حنبل، أحمد، الرد على الجهمية، تحقيق عبد الرحمن، عميره، الرياض، ١٩٧٧ .
- " " مسند ابن حنبل، المكتبة الاسلامية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٨ .
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، المقدمة، دار احياء التراث العربي بيروت د.ت.
- ابن خلكان، شمس الدين، وفيات الأعيان، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة ١٩٤٥ .
- ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم، أدب الكاتب، ليدن ١٩٠١ .
- " " الاختلاف في اللفظ والرد على الجهميّة والمشبّهة، تحقيق الشيخ محمد زاهد الكوثري، القاهرة، ١٣٢٩ .
- " " تأويل مختلف الحديث، تحقيق محمد زهدي النجار، دار الجيل، بيروت، ١٩٦٦ .
- " " الشعر والشعراء، ليدن، ١٩٠٢ .
- " " عيون الأخبار، طبعة دار الكتب القاهرة، ١٩٦٣ .
- " " كتاب المعارف، تحقيق ثروت عكاشه، القاهرة، ١٩٦٠ .

ـ ابن ماجة، أبو عبدالله محمد، سنن ابن ماجة، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، مكتبة البابي الحلبي، القاهرة، د٠ت٠

ـ ابن المقفّع، عبدالله، **المجموعة الكاملة لأعمال ابن المقفّع**، منشورات دار البيادر، بيروت ١٩٧٠٠

ـ " " **آثار ابن المقفع**، قدّم للطبعة وأشرف عليها عمر أبو النصر، بيروت، ١٩٦٦٠

ـ ابن النديم، محمد بن اسحق، **الفهرست**، طهران، ١٩٧١٠

ـ أبو زهرة، محمد، **تاريخ المذاهب الاسلامية**، القاهرة، د٠ت٠

ـ أبو حنا، حنا، "قضية اللفظ والمعنى بين الجاحظ وعبد القاهر"، في مجلة، "**المشرق**"، العدد الخاص بالأدب العربي القديم، أشرف على تحريره الدكتور جورج قنازع، القدس، حزيران ـ أيلول، ١٩٧٤، ص ٤٧ ـ ٦٤٠

ـ **البخاري**، أبو عبدالله محمد بن اسماعيل، **صحيح البخاري**، نشر ادارة المطبعة المنيرية، القاهرة، د٠ت٠

ـ بروكلمان، كارل، **تاريخ الأدب العربي**، تعريب الدكتور عبد الحليم النجار، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٩٠

ـ البستاني، فؤاد افرام، درس **ومنتخبات من كتاب الحيوان**، الجزء الثاني، بيروت، ١٩٢٨٠

- البغدادي، عبد القاهر، **الفرق بين الفرق**، القاهرة، ١٩١٠ .
- بلات، شارل، **الجاحظ في البصرة سامراء وبغداد**، ترجمة الدكتور ابراهيم الكيلاني، دار اليقظة العربية، دمشق، ١٩٦١ .
- بلبع، عبد الحكيم، **النثر الفني وأثر الجاحظ فيه**، مكتبة الأنجلو مصرية، ١٩٥٤ .
- البيهقي، ابراهيم بن محمد، **المحاسن والمساوئ**، حقّقه محمد أبو الفضل ابراهيم، القاهرة، ١٩٦١ .
- الترمذي، محمد بن عيسى، **سنن الترمذي**، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، القاهرة، ١٩٦٤ .
- الثعالبي، أبو منصور، **التمثيل والمحاضرة**، تحقيق عبد الفتاح الحلو، القاهرة، ١٩٦١ .
- " " **فقه اللغة**، تحقيق مصطفى السقا، وابراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ شلبي، القاهرة، ١٩٣٨ .
- " " **اللطائف والظرائف، ويواقيت في بعض المواقيت**، جمع أبي نصر أحمد بن عبد الرازق المقدسي، القاهرة، المطبعة الشرقية، ١٣٢٥ هـ .
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، **الأمصار وعجائب البلدان**، تحقيق شارل بلات، في مجلة "المشرق"، آذار ــ نيسان ١٩٦٦، ص ١٦٩ ــ ٢٠٥ .
- " " " **البخلاء**، تحقيق طه الحاجري، القاهرة، ١٩٤٨ .

ـ الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، **البيان والتبيين**، تحقيق عبد السلام هارون، الطبعة الرابعة، القاهرة، ١٩٧٥ .

ـ " " " **في تفضيل البطن على الظهر**، تحقيق شارل بلات، في حوليات الجامعة التونسية، العدد ١٣، ١٩٧٦، ص ١٨٣ ـ ١٩٢ .

ـ " " " **ثلاث رسائل**، تحقيق يوشع فنكل، القاهرة، ١٣٤٤ هـ .

ـ " " " **الحيوان**، تحقيق عبد السلام هارون، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٦٩ .

ـ " " " **رسائل الجاحظ**، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة، ١٩٦٤ .

ـ " " " **العثمانية**، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة، ١٩٥٥ .

ـ " " " **الفصول المختارة من كتب الجاحظ**، على هامش كتاب الكامل للمبرد، القاهرة، مطبعة التقدم العلمية، ١٣٢٣ هـ .

ـ " " " **مجموع رسائل الجاحظ**، تحقيق باول كراوس وطه الحاجري، القاهرة ١٩٤٣ .

ـ " " " **مجموعة رسائل الجاحظ**، بيروت، ١٩٧٢ (وهي اعادة لطبعة الساسي، القاهرة، ١٣٢٤ هـ .) .

- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، المسائل والجوابات في المعرفة، تحقيق شارل بلات في مجلة "المشرق"، ١٩٦٩ ص ٣١٥ — ٣٢٦.
- " " " رسالة في نفي التشبيه، تحقيق شارل بلات، في مجلة "المشرق"، سنة ١٩٥٣ ص ٢٨١ — ٣٠٣.
- جب، هاملتون، "الأهمية الاجتماعية للشعوبية"، في دراسات في حضارة الاسلام، ترجمة احسان عباس ومحمد يوسف نجم ومحمود زايد، بيروت الطبعة الثانية، ١٩٧٤.
- الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الاعجاز، القاهرة، ١٣٣١ هـ.
- جريس، ابراهيم خليل، "مفهوم الجاحظ للكتاب والكتابة"، في مجلة الكرمل، أبحاث في اللغة والأدب، العدد الأول، عكا ١٩٨٠، ص ٣٥ — ٥٢.
- الجلبي، داوود، مخطوطات الموصل، بغداد ١٩٢٧.
- حسين، طه، "البيان العربي من الجاحظ الى عبد القاهر"، مقدمة كتاب نقد النثر المنسوب لقدامة بن جعفر، القاهرة، ١٩٣٣.
- " " حديث الأربعاء، الجزء الثاني، المطبعة التجارية الكبرى، القاهرة، ١٩٢٥.

- الحصري، أبو اسحق، زهر الاداب وثمرة الألباب، تحقيق الدكتور زكي مبارك، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٢٩ .
- حمزه، عبد اللطيف، ابن المقفع، القاهرة ١٩٦٥ .
- خفاجي، محمد عبد المنعم، أبو عثمان الجاحظ، دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٧٣ .
- البستاني، فوءاد افرام، دائرة المعارف، بادارة فوءاد افرام البستاني، بيروت .
- الدارمي، عثمان بن سعيد، الرد على الجهمية، تحقيق فيتستام، ليدن ١٩٦٠ .
- الذهبي، تذكرة الحفاظ، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٩٥٦ .
- الرضي، الشريف، نهج البلاغة، شرح الامام محمد عبده، المكتبة الأهلية، بيروت، د.ت.
- الزمخشري، أبو القاسم محمود، الكشاف، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٤٧ .
- السجستاني، أبو داود سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، المطبعة التازية، القاهرة، د.ت.
- سزكين، فوءاد، تاريخ التراث العربي، ترجمة فهمي أبي الفضل، المجلد الأول، القاهرة، ١٩٧١ .
- سلام، محمد زغلول، ابن قتيبة، القاهرة، ١٩٦٥ .
- سليمان، فتحية حسن، المذهب التربوي عند الغزالي، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٦٤ .

- الشريشي ، أحمد عبد المؤمن ، شرح المقامات الحريرية، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي ، القاهرة، ١٩٥٢ .
- شلبي ، أحمد ، تاريخ التربية الاسلامية، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٦٦ .
- شلحت ، فكتور ، النزعة الكلامية في أدب الجاحظ، دار المعارف ، القاهرة، ١٩٦٤ .
- ضيف ، شوقي ، البلاغة تطور وتاريخ، القاهرة، ١٩٦٥ .
- " " تاريخ الأدب العربي ، العصر العباسي الثاني ، القاهرة، ١٩٧٥ .
- الطرطوشي ، محمد بن محمد بن الوليد ، سراج الملوك ، القاهرة، ١٩٣٥ .
- عاصي ، ميشال ، مفاهيم الجمالية والنقد في أدب الجاحظ، بيروت ١٩٧٤ .
- عبد الجبار ، أبو الحسن القاضي ، المغني ، الجزء الرابع ، حققه محمد مصطفى حلمي وأبو الوفا الغنيمي باشراف طه حسين، الدار المصرية للتاليف والترجمة، القاهرة، د.ت.
- العسقلاني ، ابن حجر ، تهذيب التهذيب، القاهرة، ١٣٢٦هـ .
- العسكري ، أبو هلال ، كتاب الصناعتين ، تحقيق البجاوي ومحمد أبو الفضل ابراهيم ، القاهرة ، ١٩٥٢ .
- عمارة ، محمد ، المعتزلة ومشكلة الحرية الانسانية، القاهرة، ١٩٧١ .

- عويس، محمد، المجتمع العباسي من خلال كتابات الجاحظ، القاهرة ١٩٧٧ .
- غريب، جورج، عبدالله بن المقفع، بيروت د.ت.
- الفاخوري، حنا، ابن المقفع، دار المعارف بمصر د.ت.
- فارمر، هنري جورج، تاريخ الموسيقى العربية، تعريب جرجيس فتح الله المحامي، بيروت، دار الحياة، د.ت.
- القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب، القاهرة، ١٩٦٧ .
- قطب، سيد، في ظلال القرآن، الطبعة السادسة د.ت.
- كرد علي، محمد، رسائل البلغاء، القاهرة، ١٩٦٢ .
- النجم، وديعة طه، الجاحظ والحاضرة العباسية، بغداد، ١٩٦٥ .
- هارون، عبد السلام، "الجاحظ والمعلمون"، في مجلة الكتاب، المحلد الثاني، آب، ١٩٤٦، ص ٥٦٤ — ٥٧١ .
- هلال، محمد غنيمي، النقد الأدبي الحديث، بيروت ١٩٧٣ .

المراجع الاجنبية

Krystyna Skrzyńska-Bocheńska, *"Les opinions d'al-Ǧāḥiẓ sur l'écrivain et l'oeuvre littéraires", Rocznik Orientalistyczny*, vol. 32, 1969, pp. 105–122.

F. Gabrieli, *"L'opera di Ibn al-Mukaffaʿ", RSO*, XIII, 1932, pp. 197–247.

G.E. Von Grunebaum, *"The concept of plagiarism in Arabic Theory," JNES*, 3, 1944, pp. 234–253.

I. Geries, *"Quelques aspects de la pensée muʿtazilite d'al-Ǧāḥiẓ selon K. al-Ḥayawān." SI*, 52, 1980, pp67-88

I. Geries, *Un genre littéraire arabe: al-maḥāsin wa-l-masāwī*, Maisonneuve et Larose, Paris 1977

H. Hirschfeld, *"A volume of essays by al-Jāḥiẓ", in, A volume of oriental studies*, ed. by T.W. Arnold and R. Nicholson, Cambridge, 1922.

Encyclopadia of Islam.

F.E. Karatay, *Topkapi Sarayi Müzesi Kütüphanesi, Arapça Yazmalar Kataloğu*, C. IV, Istanbul, 1969.

G. Lecomte, *Ibn Qutayba, l'homme, son oeuvre, ses idées*, Damas, 1969.

G. Lecomte, *"L'introduction du Kitāb adab al-Kātib, Melanges Louis massignon*, vol. 3, Damas, 1957.

Ch. Pellat, *"Essai d'inventaire de l'oeuvre ǧāḥiẓienne", Arabica*, III, 1956, pp. 147–180.

Ch. Pellat, *"al-Ǧāḥiẓ hérésiographe", Bulletin d'etudes orientales*, Tomme 30, 1978, pp.147-158

Ch. Pellat, *Textes arabes relatifs a la dactylonomie*, Maisonneuve et Larose, Paris 1977

Ch. Pellat, *"Une charge contre les secrétaires attribuée a al-Ǧāḥiẓ"*, *Hesperis*, 48, 1956, pp. 29–50.
Ch. Rieu, *Supplement to the Catalogue of the Arabic manuscripts, in the British Museum*, London, 1894.
Ramazan Şeçen, *Cāḥiz'in eserlerinin Istanbul Kütüphaelerindeki*, *Şarkiyat mecmuasi*, VI, 1965.
D. Sourdel, *"La biographie d'Ibn al-Mufaffaʿ d'après les sources anciennes"*, *Arabica*, I, 1954, pp. 307–323.
A Subhan, *Muʿtazilite view on Beatific vision*, *IC*, 15, 1941, pp. 422–428.
M.A.S. Tritton, *Muslem Theology*, London, 1947.
G. Vajda, *"La connaissance naturelle de Dieu selon al-Ǧāḥiẓ critiquée par les muʿtazilites"*, *SI*, XXIV, pp. 19–33.
J. Van Ess, *"Ǧāḥiẓ und aṣḥāb al-mʿārif"*, *Der Islam*, 42, 1966, pp. 169–178.

محتويات الكتاب

LITERARY STUDIES AND TEXTS, III

Tel-Aviv University, Department of Arabic Language and Literature
General Editor: S. Somekh; Editorial Secretary: S. Jubran

IBRAHIM GERIES

TWO ESSAYS BY AL-JĀḤIẒ

a. Kitab al-muʿallimīn
("On Schoolmasters")

b. Kitāb fī l-radd ʿalā l-mušabbiha
("Refutation of Anthropomorphists")

annotated, with an introductory study

Tel-Aviv
1980

Publisher: Srugy Acco



الخطأ والصواب

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
١٥	١٧	أخذه	أُخذ
٤٣	١٢	المناسبة	والمناسبة
٥٩	١٤	رحجَ	رجّح
٦٨	١٢	الحويان	الحيوان
٧٢	٢٣	مقام مقام	مقام مقال
٧٤	١٩	وجود	وجوه
٧٩	١٩	غرَ	غرّ
٩٢	٢٤	الكوقرى	الكوثرى
١٠١	١٦	التجسيم	التجسيم والتشبيه
١١٥	١٨	وأبو	وأبي
١٢١	٢٥	عين	عينا
١٢٣	٢٣	يتلائم	يتلاءم

أبـو سلـوم المعتــزلي

